إيـمونـت

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَةٌ

اسم الكتـــاب: إيمونت
تـأليـــــــف: مايكل يوسف
تدقيق وتصحيح: الأستاذة مريم توركان
تصميم داخلي: سالم عبدالمعز سواح
النـاشـــــر: دار الزيات للنشر والتوزيع

القـطـــــع: 14*20
سنـة النشـر: 2024

تم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية برقم: 28358 / 2024
الترقيم الدولي (ISBN): 978 - 977 - 844 - 567 - 1

دار الزيات للنشر والتوزيع
المشهرة قانونًا بسجل تجاري رقم/ ٤٩٣٥١

ت: ٠١٠٦٦٧٣٦٧٦٥ - ٠١٠١٥٧٦٦٠١٤ / shahnda71@gmail.com

ISBN 978-977-844-567-1

إيـمونت

لعنة الحُبّ

رواية

مايكل يوسف

تقديم

هل يهزم الحب الزمن، أم الزمن ينتصر؟ لا أحد يمتلك إجابة. جل ما نستطيع فعله أن نضع الحالة محل السؤال، وحبذا لو نخلق الدهشة. هذا هو الأدب.

هذا سؤال راود فلاسفة كباراً وأدباء عظماء –توفيق الحكيم في أهل الكهف مثلا، فقد عاد البطل بعد ثلثمئة عام ولم يجد الحبيبة، بل وجداً شبيهة لها تحمل من عبقها الكثير.. لكنها تمتلك روحاً مختلفة وطاقة مختلفة، عاد ولم يعد الزمن. أما الأستاذ مايكل فقد جمعهما بشحمهما ولحمهما. أرسل بطله في الحين والمكان ليخلق السؤال العسير. ولم يمنحنا الإجابة. لأن الإجابة كما أسلفنا أشد عسراً من طرح السؤال.

ولست بصدد المقارنة بين جبل من جبال الحكايات في الأدب العربي وكاتبنا المعاصر، لكنها الضرورة التي طرحها تفرضها نفس الأزمة، أزمة البطل.

والتشويق هو صنعة الكاتب، لو أتقنها حبكة وسرداً ولغة ومقادير فهنا تكون الرواية. وما أسعد المبدع حين تواتيه فكرة نادرة ليصنع حولها حكاية يصوغها في زمن، فالرواية سرد زمني قبل أن تكون سرداً

مكانياً. وكاتبنا –في ظني- أجاد الصنعة والحبكة والمقادير. طرح السؤال ومأساة عنصريه، إيمونت وبدر؛ تلك التي أحبت بصدق فضحت بمكانتها الملكية العلوية، وذلك الذي أحب بإخلاص فمنحه فخسر مكانه الآنية البشرية.. وصار أيا- رع.

همس من رمز ديني خافت، ولمحة تاريخية ضرورية من دون إسهاب، ولغة تليق بجلال الحدث. هذا ما يصنع رواية جديرة بالقراءة. وهذا ما أعد القارئ أن يجده هنا.

هشام عيد

يا ساكنا في الروح أين خلاصي
أهدتك لي سحب السماء
وتورط القلب الحزين بالإخلاصِ
ما كنت أعلم أن حبك لعنة
لعنوني في قلبي وفي إحساسي
كما النجوم أضات دربي
ناديتني وأنا الملبي
قد ملت عن درب الهوى
ف أتيت أنت وسرت بي
أخبرت أوراقي بأنك لعنتي
ونقشت في البردى رواية قصتي
وكتمت سرك في الفؤاد
لطالما أخشى افتقادك....
فتحرق مهجتي
يا... موكبيَ العظيم وكوكبي وسمائي
يا لعنةً أيقنت فيها شفائي
ما عدت أرجو في الحياة بريقها
ورأيت فيك تلهُّفي ورجائي
يا زهرة كم تشبهيني...

هل لعنة العشق التي احتوتني أخبريني...؟؟؟!!!
كيف أمكننى الهوى
والمستحيل طريقه
أم كيف أضحى دما في وتينِي
يا نبضا سرق شراييني
يا نجمتي هاتي رشادكِ لا تُضلّيني
بحق الحبِّ
هيا أنقذيني ....
لكن بحق الهوى لا تلعنيني
إنني إيمونت سيدة الحكاية
و ذاك نقش روايتي
أهواه كم أهواه رغم عشيرتي
إن كان حظي في الحياة غرامه
يا مرحبًا بك لعنتي
يا أيها القدر المحتم في السما
روحي فداه ومهجتي حتى الدما
صلواتي ترجو قربه
دون افتراق
ودعائي يسبقه الرجاء

روحي فداه بلا انتهاء
فهو الحياة لقلبي الحزين
وإن أطفؤوني فهو
الضياء
لا السحر يجديني ولا اللعناتْ
عشقي لقلبك حتى الممات
فكيف أطيق بعدك يومًا
وانت الأمانيّ وانت الحياة
تعالَ أو خذني إليك
خذني إلى وطنٍ جديد
أنت المراد وأنت نفسي والوريد
أنت الحقيقة رغم أسوار التُّهَمْ
قد طوقوني بطوق الحديد
ينتابني حزن إذا ما غبت عني
وتشرق روحي بقربك مني
أنا أغني باسمك سرًّا وجهرًا
وأنت الاماني أنت التمني
يضمني قلبك كي لا اخاف
وأمشي إليك سنينا عجاف

وعند انعطاف الأماني تجدني
أتوق إليك وأحمل حبَّكْ
كنسْمات صيف لطاف خفافْ
أعاتب حظي فكيف اصطفاني
أكون لقلب بعيد المنال....
عظيمٌ حنيني وما بيَ صبر
ولا عندي أملٌ لاي احتمال
فكيف التأني وقد فاض شوقي
ودرب الحبيب بعيد الوصال
سآوي إليه بكل الدروب
وإن كان درب الحبيب الخيال
ألوذ إليه بكلي وأسكن فيه السنين الطوال
حبيبي الوحيد ....مرادي البعيد
أصابنيَ وهْنُ
و أنت دوائي لأوجاع روحي ودمعي الحزينْ
رويت سنيني بعد الذبول
ولونت عمري بلون الحنينْ
فخذني بحضن الهوى لا تدعني
أسيل دموعًا وحزنًا دفينْ

أرد صدى اللعنات بكفّي
فيغدو فؤادي كجمر لعين
فأزداد شوقًا وحبًّا وعشقًا..
كأن الفؤاد له مستكين
وهل كان عشقيَ لعنة عمري
وهل هو ذنب كبير عظيم؟!!!
ستبقى بقلبي حصنًا ومأوى
يخلد عشقيَ في العاشقينْ
سأهديك فوق غرامي غرامًا
وأنت بقلبي إلى أبد الآبدينْ

إهداء من
الشاعرة الفلسطينية
هويدا أحمد

(إيا - رع)

"فـ خُذ من صدري ما شئت حتى يُضيء وجهك

وخذ كل شيء بي ومني وكُن قريب."

مُحبتك إيمونت

الفصل الأوّل

تعالى صوت المُقرئ يشّق سكون الليل ويكسر حاجز الصمت السائد بينَ كُلّ الحاضرين، الذّينَ كَستْ وجوههم ملامح الحُزن والخشوع.

"كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ"

صدقَ اللَّهُ العظيم.

أنهى تلاوتهُ وشرعَ في مُغادرةِ مجلسهِ ممّا جعلَ الحاضرينَ يحذونَ حذوه، وقفَ هذا الشابّ جميل المُحيّا، صاحب البشرة البيضاء المُشربة بالحُمرةِ والعيون الزرقاء على رأسِ سرادق العزاء، وقفَ وحيدًا يستقبل واجب العزاء من الحاضرين.

يُدعى (بدر) وقد حَمَلَ من الاسمِ صفاته، وقفَ صامِدًا صامتًا حتّى انتهى من آخر شخص، نظرَ يمينًا ويسارًا حتّى اطمئنَ أنَّهُ قد انتهى بالفعل.

اقتربَ منهُ شابّ قمحي البشرة أشعث الشعر واللحية، ربتَ على كَتفهِ مُواسيًا:

- هيّا يا صديقي، ليرحمها اللَّهُ ويُسكنها فسيح جنّاته، لقد تركتْ دار الشقاء ورحلتْ إلى دارِ الحقّ والراحة الأبديّة، أُدعو لها فهي في أمسِّ الحاجة للدُعاءِ الآن.

غممَ (بدر) بعباراتٍ غير مسموعة أو مفهومة، قد كانَ مُرهقًا مصدومًا غير مُدرِك حتّى الآن لِمَا حدث، لقد رحلتْ أُمّه، كُلّ مَن كانَ لهُ في هذهِ الحياة.

لم يَكُن يتخيّل أبدًا هذا اليوم، ولم يُخطّط لهُ أو يتوقعه، رحلتْ (هويدا)، لم تَكُن أُمّهُ فحسب؛ بل كانتْ رفيقة حياتهِ وصديقته، وأيضًا أبيهِ وابنته.

كانا معًا أُسرةً مُتكاملة الأركان، كانتْ هي كُلّ ما لهُ وهو عوضها ورجلها ومالها.

خرجَ من شرودهِ على يدِ صديق عُمرهِ (راتب)، تربت مرّة أُخرى على كَتفه، فنظرَ لهُ وابتسمَ ابتسامة باهتة أقرب للبُكاء منها للابتسامة!

وقفا معًا حتّى قامَ العاملونَ على السرادق بنقلِ آخر قطعةٍ منهُ إلى السيّارات الخاصّة بهم، وأسرعَ (راتب) بانهاء التفاصيل الماديّة معهم؛ لإدراكهِ جيّدًا صعوبة هذا الأمر على (بدر) وهو في هذهِ الحالة.

وما أنْ رحلتْ السيّارات ومعها العاملين، حتّى تحرّكَ (بدر) نحوَ بابِ المنزل ينوي الصعود إلى شقته، لكنَّ (راتب) قد أوقفهُ قائلًا:

- مهلًا يا صديقي، سوفَ تأتي معي اليوم، لن تقضي ليلتكَ هُنا، سوفَ تقضيها معي.

نظرَ لهُ (بدر) بدهشةٍ واضحة مُتسائلًا:

- لماذا؟

أمسكَ (راتب) بذراعهُ وهو يتحرّك وقال:

- لن أتركَكَ وحيدًا وبيتي هو بيتك، ألسنا اِخوة؟

هيّا بنا ليسَ معقولًا أنْ تقضي ليلتكَ هذهِ وحيدًا ومنزل أخيكَ موجود.

قالها وهو يتحرّك بالفعلِ جاذبًا (بدر) من يدهِ كي يتحرّكَ معه، وهو بالفعلِ ما حدث، كانَ (بدر) يسير كَالنائم مغناطيسيًّا غير مُدرِك لِمَا حوله، يسير بحركةٍ آليّة رتيبة، كانَ عقلهُ وكُلّ حواسه لا تُفكر إلَّا في أمرٍ واحدٍ.. أُمّه (هويدا).

كانَ يستعيد كُلّ اللحظات التي عاشها معها من المهدِ وحتّى قبل عشرةَ ساعات فقط من الآن، عقله حتّى هذهِ اللحظة غير قادر على استيعاب أنَّها ماتتْ ولم تَعُد موجودة في حياته.

كانتْ أُمّهُ هي الملاذ الوحيد والآمن لهُ طوال حياتهِ بعدَ وفاة أبيهِ وهو طفلٌ صغير.

لم يَشعُر يومًا أنَّهُ يتيم الأبّ، فقد كانتْ هي الاثنين معًا بل وأكثر، كانتْ أبيهِ حينما يحتاجُ أبًا، كانتْ أُمّهُ حينما يشتاقُ للحنان، صديقهُ الصدوق حينما يفتقد الأصدقاء.

خرجَ من ذكرياتهِ على صوتِ (راتب) وهو يدعوهُ إلى الدخولِ لمنزله، كانا قد وصلا بالفعلِ دونَ أنْ يشعر أو يُدرك للزمان أو المكان.

دخلَ إلى المنزلِ الذي قد اعتادَ عليه، حيثُ أنَّ (راتب) صديق عُمره الأوحد تقريبًا وهو يعيش بمفردهِ بعدَ أنْ تُوفيَ والداه، وليسَ لهُ إخوة

أو أقارب يُمكنهم أنْ يُقيموا معه، ولم يتزوّج بعد برغم اقتراب عُمرهِ من مُنتصفِ الثلاثينيّات، إلَّا أنَّهُ يُفضّل حياة العزوبيّة على الحياةِ الزوجيّة والاستقرار.

كانَ (راتب) على النقيضِ تمامًا من (بدر)؛ فهو غير مُلتزم أبدًا في العمل، يعشق السهر وحياة الخلاعة والمجون، يكاد لا يترك لفائف التبغ من يدهِ سواء العاديّة أو المُختلطة بالمُخدرات، حياته مقلوبة رأسًا على عَقب، يسهر حتّى الصباح، وينام حتّى مُنتصف الليل تقريبًا.

(بدر) و(راتب) في نفسِ العُمر تقريبًا، وأيضًا مجال دراسي وعملي واحد، فالاثنينِ خريجي معهد عالي (آثار)، كما حاولا جاهدينِ التعيين في هيئة الآثار ولكنْ هيهات، باءت كُلّ مُحاولاتهما بالفشل، لم يتمكنا سوى بالعمل في بعضِ المَهام الاستكشافيّة أو البعثات التي تحتاج إلى عِمالة غير مُنتظمة؛ لتقليلِ تكلفة العمليّة الاستكشافيّة أو البحثيّة، وبالطبعِ كانَ العائد المادّي لا يُذكَر، إذ لا يُثمن ولا يُغني من جوع، ولكنْ لا بُدَّ وأنْ يستمرانِ في العمل، على أملِ أنْ يتمّ تعيينهم يومًا ما بهيئةِ الآثار أو إحدى الهيئات التابعة لها.

كانتْ ليلة عصيبة على (بدر) أبتْ أنْ تمُرّ بهدوء، ولكنْ في النهاية انتصرَ الإرهاق والتعب، فسقطَ في نُعاسٍ أشبه بالغيبوبة.

أحلام غريبة، كائنات خُرافيّة، صراعات وحروب، حتّى كادَ أنْ يُقيمَ بمفردهِ الحرب العالميّة الثالثة في أحلامه، ووسط كُلّ هذا كانتْ هي تتوسط كُلّ الأحلام بابتسامتها العذبة، التي كانتْ كفيلة أنْ تُغيّرَ لهُ يومهُ وحياتهُ بمجرّد أنْ يراها.

مرّتْ الليلة ثقيلة حتّى أنَّهُ ظلَّ يشعر بثقلٍ رهيبٍ على صدرهِ وقلبه، وكانتْ آثار تلكَ الليلة مازالت جاثمة على صدره.

كانَ يجلس على طاولةٍ صغيرة في منزل (راتب) شارد الذهن، يستعيد كُلّ لحظات حياتهُ مع أُمّه، حتّى أنَّهُ لم يشعر باقتراب صديقه وهو يحمل ما أعدَّهُ من طعامِ الإفطار.

وضعَ (راتب) الطعام وجلسَ بجوارِ صديق عُمرهِ وشرعَ في تناول الإفطار، وبالطبعِ لم يترك صديقهُ الذي كان يرفض تمامًا تناول أيّ طعام ولكنَّهُ خضعَ في النهاية على مضضٍ نظرًا لضغطِ راتب، لم يَكُن يشعر بحاجةٍ إلى شيءٍ في حياته، بل لم يَعُد يشعر بأهميةِ حياتهِ نفسها بعدَ أنْ فقدَ أغلى وكُلّ ما لديهِ فيها.

ظلَّ يلوك اللُقيمات القليلة في فمهِ دونَ شعور وكأنَّهُ آلة، وهو ما شعرَ بهِ (راتب) وأدركهُ فحاولَ أنْ يتجاذبَ معهُ أطراف الحديث حتّى يُخرجهُ من هذهِ الحالة.

- لقد عَلِمتُ أنَّ دكتور (يحيى وهدان) يُعِدُّ فريق بحثي هذهِ الأيَّام ليقومَ بمهمة في الأقصر، وقد سارعتُ بتدوين اسمَينا في كشوفِ الراغبين بالانضمامِ للبعثةِ الاستكشافيّة.

توقفَ (بدر) عن مضغِ الطعام ونظرَ نحوَ (راتب) وظلَّ صامتًا وكأنَّهُ يُحاول استيعاب ما قال.

فتابعَ (راتب) حديثهُ وهو مازال يتناول طعامه:

- كانَ ذلكَ بالأمسِ قبلَ أنْ يحدثَ ما حدث، أقصد قبلَ أنْ تبرأ رَّوحها إلى خالقها، وبالطبعِ لم أجد مجالًا بالأمسِ لأُخبركَ بما فعلت، وعلى العموم إنَّها فرصة طيّبة لتبتعد قليلًا عن المنزلِ والمنطقة بالكامل، فأنتَ بحاجةٍ إلى هذا الأمر هذهِ الفترة على الأقل.

نطقها (بدر) بهدوءٍ وقامَ مُغادرًا المجلس وذهبَ تجاه الشُرفة، ممّا جعلَ (راتب) يلحق بهِ وهو يقول:

- أنصِت إليَّ جيّدًا يا (بدر)، أنتَ تعلمُ مقدار حُبّي للمرحومة (هويدا)، وتعلم أنَّها كانتْ بمثابة أُمّي فعلًا برغم أنَّني لم أَكُن لها بالابن البارّ، إلَّا أنَّني أُدركُ جيّدًا حبّها لي وخوفها عليَّ.

لكنْ يا صديقي هي الآن بينَ يدي الخالق عزَّ وجلّ، اطلب لها المغفرة والرحمة وادعوا لها، وأفضل ما تفعلهُ هو أنْ تُفرحها في قبرها، بأنْ تنجحَ وتصلَ إلى ما كانتْ تحلم أنْ تراكَ فيهِ.

اقتربَ منهُ أكثر ووضعَ يدهُ على كتفهِ وتابع:

-ثِق بي يا صديقي، العمل والانخراط فيهِ هو الحلّ الوحيد الكفيل أنْ يُخرجكَ من هذهِ الحالة، وتُحقّق ما كانتْ تحلم لكَ بهِ.

سقطتْ دمعة حبيسة من عَينِ (بدر) عندما تذكّرَ كلامها وحلمها أنْ يُصبحَ ذا شأنٍ عظيم في مجالِ الآثار، تركَ العنانَ لعبراتهِ التي ظلّتْ حبيسة مُقلتيهِ مُنذُ الأمس، أخرجها ومعها أخرج كُلّ انفعالاته وعواطفه المكبوتة.

أدركَ (راتب) أنَّ صديقهُ الآن بصدد أنْ يفيقَ من صدمته، فاقتربَ منهُ ضامًّا رأسه إلى صدرهِ يُشّجعهُ أكثر على تجاوز الأمر.

وهو بالفعلِ ما حدث، فلم تمضي دقائقَ معدوداتٍ حتّى توقفَ (بدر) عن البُكاء وتمالكَ رباطة جأشه، وظلَّ صامتًا لفترة، احترمَ فيها (راتب) صمته فظلَّ صامتًا هو الآخر.

حتى التفت له (بدر) وقال .

- ليَكُن يا (راتب).. ليَكُن، لنُسافرَ في البعثة.

قالها وهو يُمنّي نفسهُ بأنْ تكونَ تلكَ الرحلة هي الملاذ الذي يُخرجهُ من هذهِ الحالة، ويُساعدهُ على النسيان، وإنْ كانَ من المُستحيلِ أنْ ينساها، لكنَّهُ على الأقل يُحاول.

الفصل الثاني

- اثنا عَشَرَ ليلة.

غمغمَ (بدر) بهذهِ العبارة بصوتٍ خافت وهو يلتصق بجانبِ رأسهِ إلى نافذةِ ذلكَ القطار الذي يطوي المسافة من القاهرة إلى مُحافظة أسوان.

اثنا عَشَرَ يومًا يا أُمّي دونَ أنْ أراكِ، دونَ أنْ تحتويَني ذراعيكِ.

انحدرتْ من عَينيهِ العَبرات لتسيلَ على الزجاج كَقطراتِ المطر الهطّال بالخارج، حتّى يكاد يكون من الصعبِ أنْ تَمَيُّزُ بينهما، كانَ يجلس بجوارهِ صديقه (راتب) راحَ يَغِطّ في نومٍ عميقٍ أشبه بنومِ أهل الكهف.

تستغرق الرحلة بالقطار حوالي عشر ساعات، وبعدَ أنْ يصل القطار إلى محطّة أسوان، سوفَ يكون في انتظارهما سيّارة خاصّة بالبعثة الاستكشافيّة التي أصبحا من أعضائها من

الآن.

لم يَكُن (بدر) مُدرك لكُلّ ما حدث؛ إذ قامَ (راتب) بكُلّ الإجراءات والتحرُّكات والتصاريح وحتّى المُستلزمات الضروريّة، لم يشعر (بدر) اطلاقًا بأيّة مُعاناة في تلكَ المهام، بل لقد تفاجأ أنَّ السفرَ قبلَ ثمانية وأربعونَ ساعة فقط من الموعدِ المُحدّد للسفر، مرّت الساعات بطيئة مُمّلة على (بدر) لم يغمض لهُ جَفن ولو لدقائق

قليلة بعكسِ (راتب)، الذي لم يستيقظ نهائيًا إلَّا حينما هدَّأ القطار من سرعتهِ استعدادًا لدخولِ محطّة (أسوان).

تحرّكَ الاثنان وكلاهُما يحملُ حقائبهُ وتوجها إلى خارجِ المحطّة مُسرِعَين؛ بسبّب تأخُر وصول القطار عن موعدهِ المُحدّد بساعة كاملة، نظرًا لأعمالِ الصيانة في مساره.

هرعا وأنظارهما تتحرّك في كُلّ اتجاهٍ بحثًا عن السيّارة الخاصّة البعثة، والتي من المُفترضِ أنْ تكونَ في انتظارهما، لكنْ لم يَكُن لها أيّ أثر، ممّا جعلَ (راتب) يُجري اتصالًا بمساعد الدكتور (يحيى وهدان) السيّد (زياد)، الذي أخبرهما برحيل السائق حينما تأخر القطار في الوصول، ولكنَّهُ سوفَ يُجري الاتصال بهِ كي يعودَ إليهما مرّةً أُخرى.

وبالفعلِ وبعدَ عشرين دقيقة كانتْ قد وقفتْ أمامهما سيّارة من سيّاراتِ الدفع الرُباعي الكبيرة، والخاصّة بالتنّقُلِ بينَ الجبال والوديان، استقلّاها وتحرّكتْ بهما حتّى وصلت إلى قريةٍ صغيرة على حدود مدينة (أسوان) تُدعى

(نجع الشلاباب)، وهُناكَ توقفت أمام منزل صغير شُيِّدَ بنفسِ الطابع المعماري المُميّز لمنازل مدينة (أسوان)، وهو عبارة عن غُرفٍ مزدوجة بالطوب اللبن والسقف من الخشب والخوص، حملا حقائبهما مرّةً أُخرى وأنهيا اِجراءات الفندق وذهبا معًا إلى غرفتهما

التي خُصّصت لهما من قِبلِ البعثة، ونظرًا لطولِ المسافة وساعات السفر والإرهاق، غلبهما النُعاس فناما.

مرّتْ الليلة سريعًا فلم يُعكر صفوها إلَّا بعض صوت الرياح المُميّز في هذهِ الفترة من الشتاء ليلًا، وتكاد تشعر معها

أنَّ الرياح سوفَ تقتلع الغُرفة من الأرضِ وتُلقي بها بعيدًا لكنَّ هذا لم يحدث.

وفي الصباحِ الباكر تجمَّعَ جميع أفراد البعثة في غُرفةِ الطعام الرئيسيّة الخاصّة بالنزل لتناول وجبة الإفطار، وبمُجرّد أنْ انتهوا منها حتّى توجهوا جميعًا لقاعة رحبة واسعة مُخصّصة للاجتماعات مُلحقة بالنزل.

وبعدَ أنْ اصطفوا جميعًا في أماكنهم حتّى تقدّمَ الدكتور (يحيى وهدان) ومعهُ مُساعدهُ (زياد) إلى مُنتصف القاعة، وشرعَ في التعرُّفِ عليهم ويشرح لهم تفاصيل المهمة الخاصّة بالبعثة والغرض منها، وقد اتسمتْ ملامحهُ بالجديّة والاهتمام أثناء الحديث.

- أهلًا بكم جميعًا.

أعتقد أنَّ أغلبكم وإنْ لم يَكُن جميعكم قد شاركَ معي

في بعثاتٍ سابقة أو مهام استكشافيّة سابقة، فأنا أتذكّر وجوهكم جيّدًا، بل أتذكّر أسماءكم أيضًا إنْ لم تَخُني الذاكرة.

ما نَحنُ بصددهِ اليوم هو عملٌ هامٌّ للغاية في التاريخ المصري، بل يُمكن أنْ نُصنّفهُ على أنَّهُ من أعظم وأهم

الإكتشافات في تاريخ مصر القديم.

وصمتَ قليلًا ليرى تأثير ما قال على وجوههم، وليعطي لكلماتهِ التأثير المطلوب، وأخيرًا تابعَ حديثهُ في أداء مسرحي مُبتذل!

كانتْ البداية للمصري القديم هي الآلهة، وأقدم الآلهة المصريّة وأغربها هي (أمون)، ولهذا الإله صفات

خاصّة جدًّا ووضع خاصّ.

إنَّ عبادة آمون أو (آمون- رع) فيما بعد، والديانة المُرتبطة بهما من أعقد ثيولوجيّات مصر القديمة في أسمى صوره، كانَ (آمون- رع) إلهًا خفيًّا مثلما يعني اسمه، ولكنْ

لاهوتيًّا فلم يَكُن الإله وحدهُ خفيًّا، بل إنَّ اسمهُ خفي أيضًا وكذا شكله لا يُمكن إدراكه.. بكلمات أُخرى إنَّ الغموض المُحيط بآمون سبّبه هو كماله المُطلق، وفي هذا كانَ مُختلفًا عن كُلّ الآلهة المصريّة الأخرى، كانتْ قداسته

بمكانٍ بحيثُ أنَّهُ قد ظلَّ مُنفصلًا عن الكونِ المخلوق،

كما كانَ مرتبطًا بالهواءِ ولهذا كانَ قوة خفيّة، ممّا سّهلَ لهُ الترّقي كإلهٍ أعلى.

قد أُعتبرَ (آمون) خالِقُ نفسه، كما كانتْ لهُ القُدرة على التجدّد وإعادة خلق نفسهِ التي مُثلّت بقدرتهِ على التحوّل إلى أفعى وطرح جلده، ومع هذا فقد ظلَّ مُختلفًا

عن الخلق، مُنفصلًا ومُستقلًا عنهم بتوّحُدهِ مع (رَع) الشَّمس، تجلى (آمون) للخلق، ولهذا جمع (آمون - رع) في نفسهِ النقيضين الإلهين: فهو بصفتهِ (آمون) كانَ خفيًّا وغامضًا ومُنفصلًا عن العالم، وبصفتهِ (رع) كانَ جلّيًا وظاهرًا ومانحًا للحياةِ اليوميّة.. بذاتِ لمنطق كانَ ارتباطه بماعت، المفهوم المصري للعدل والتوازن في الكون.

سّهلت طبيعة (آمون) الخفيّة اقترانهِ بالآلهة الأُخرى، وهُنا يجب ملاحظة أنَّ (آمون) لم يَكُن يندمج في الآلهة

الأُخرى لخلق إله جديد، بل كانَ اقترانه توحدًا للقُدرة

الإلهيّة.

في أوجِّ عبادة (آمون - رع)، اقتربت الديانة المصريّة كثيرًا من كونها ديانة توحيديّة؛ حيثُ أصبحتْ الآلهة

الأُخرى أوجهًا لقُدرتهِ أو تجلّياتٍ لهُ، باختصار أصبحَ هو الإله الأوحد والأعلى.

كانتْ زوجهُ أحيانًا تُدعى (إيمونت) الصيغة المؤنثة

(لآمون)، ولكنَّها غالبًا ما كانتْ تُعرَف بالاسم (موط)، وكانَ لها رأس إنسانة مُرتدية التاج المزدوج للوجهينِ القبلي

والبحري، وكان ابنهما هو (خونسو) القمر، معًا شَّكلوا

(ثالوث طيبة).

وهُنا هي النقطة الهامّة والمفصلية في بعثتنا هذهِ (إيمونت)..

أوّل معبد للإله (آمون -رع) كانَ موجودًا في هذهِ المنطقة المتواجدينَ بها، ولكنْ وللأسفِ الشديد تعرّضتْ المنطقة لزلزالٍ مُدّمر؛ تسبّبَ في تهدُّمِ المعبد بالكامل واندثارهِ أسفل أطنان من الرمال، لكنَّ المعبدَ ليسَ هو غايتنا في حدِّ ذاتهِ ولكنْ (إيمونت).

حتّى وقتٍ قريب كُنّا نعتقد أنَّها شخصيّة أسطوريّة؛

فهي زوجة الآلهة (آمون - رع) وبالتالي هي عبارة

عن شخصيّةٍ غير حقيقيّة، حتّى عثرتْ بعثة مصريّة كنديّة في (سقّارة) على برديّةٍ تتحدّث عن غضبِ الآلهة

(آمون - رع) من (إيمونت) ولعنهِ لها ومكان المعبد

الذي كانتْ تُقيم بهِ.

ولوقتٍ قريبٍ كُنّا نعتقد أنَّ الأمرَ ما هو إلَّا أُسطورة

من أساطيرِ المصري القديم التي نسجها من وحي خياله.

كانَ الدكتور (وهدان) يشرح ويصف في أداءٍ تمثيليٍّ بديع، ويُحرّك يديهِ مع كُلّ نقطةٍ يشرحها، كما كانَ أغلب أعضاء البعثة ينتبهونَ لكلامه، إذ كانَ قد استحوذَ بالفعلِ على

كامل تركيزهم، حتّى (بدر) ذاتهِ قد انسجمَ مع شرح الدكتور (وهدان) واستطاعَ ما يسردهُ من حديثٍ أنْ يُخرجهُ من أفكارهِ وذكرياتهِ عن أُمّه، وتابعَ الدكتور شرحه التمثيلي قائلًا:

- ولكنْ تلكَ البرديّة استطاعتْ أنْ تُغيّرَ تفكيرنا هذا تمامًا فلقد شَرحتْ بطريقةٍ واضحةٍ وصريحة أبعاد ومكان المعبد الخاصّ بالإله

(آمون - رع)، ليسَ هذا فحسب؛ ولكنَّها قد شرحت أيضًا الوصف الداخلي للمعبد والرُتب الكهنوتيّة

بالمعبد، وذكر تفاصيل مُهمّة جدًّا وهي ما نَحنُ بصدد استكشافها من خلال بعثتنا هذهِ.

كانتْ أهمّ نقطه لفتت انتباه الخُبراء ما كُتِبَ في تلكَ البرديّة وذكر شخصية (إيمونت)، قد اعتقدنا قديمًا أنَّ (إيمونت) هي صورة الأُنثى فقط من الإله (آمون- رع)، لكنَّ البرديّةَ قد قامتْ بدحضِ هذهِ الفكرة تمامًا؛ إذ ذكرتْ بالتفصيل أنَّ شخصية (إيمونت) هي شخصيّة حقيقيّة موجودة بالفعل، ولكنْ ما ذُكرَ عنها قديمًا في الأساطير لا يُمكننا معرفة ما إذا كانَ حقيقيًا أم لا.

لذا قد تمَّ التجهيز والتحضير لهذهِ البعثة، ويُعَدُّ هذا الأمر غاية في الغرابة؛ فلم تتحرّك بعثة من قبل بُناءً على برديّةٍ واحدة، يجب أنْ يتوفر عِدّة اِشارات في برديّاتٍ مُختلفة

أو أماكن أثريّة مُتنوعة، كي تتحرّك بعثة كبيرة مثل هذهِ البعثة التي نَحنُ بصددها الان.

وتُعَدُّ هذهِ البرديّة مُختلفة تمامًا عمّا قد عثر عليهِ من قبل؛ إذ كانتْ عبارة عن صفحةٍ من كتابٍ مُتعدّد الصفحات، تمَّ تمزيقها عن عَمدٍ وإخفائها في منطقة سقّارة الأثريّة أسفل مقبرة أثريّة قديمة من المقابر الدفينة، وكما هو معلومٌ لدى أغلبكم أنَّ مصطلح المقابر

الدفينة، المقصود بهِ هو المقابر التي حاولَ أصحابها أو ذويهم جعلها مخفيّة تمامًا

بعيدًا عن أعيُنِ اللصوص، حيثُ كانوا يصنعونَ مقبرة وهميّة أعلى المقبرة الحقيقيّة وذلكَ للتضليل،

وكأنَّما أرادَ مَن فعلَ هذا أنْ لا يتمّ العثور على هذهِ الصفحات أبدًا.

وهُنا قد يتبادر لذهنِ أغلبكم سؤال مُهم وهو.. لماذا لم يُحاول مَن قطعَ تلكَ البرديّة من مكانها الأصلي أنْ يدفنها بتلكَ الطريقة ويتخلّص منها تمامًا؟

كأنْ يحرقها مثلًا؟

وإجابة هذا السؤال بداخلِ البرديّة ذاتها.

صمتَ قليلًا ونظرَ لوجوهِ الحاضرين كي يتأكد

أنَّهُ قد نجحَ بالفعلِ في الاستحواذ على

تركيزهم بالكامل وتابع:

- البرديّة عبارة عن ثلاثِ رُقعٍ جلديّة بحالة مُمتازة جدًّا،

بل يُمكننا القول بأنَّها من أفضلِ الحالات مُقارنةً بالبرديّات التي قد تمَّ العثور عليها حتّى وقتنا هذا.

ويرجع هذا إلى طريقة حفظها المُتقنة جدًّا وبعنايةٍ وحرصٍ شديدين.

ولمعرفة السرّ وراء الاهتمام والعناية في حفظِ البرديّة، قامَ فريق كامل بترجمتها بحِرَفيّةٍ ودّقةٍ بالغة، وهُنا تجلى الأمر ووضحت الرؤية تمامًا، فبعدَ ترجمة البرديّة كانتْ آخر فقرة منها تُحذّر كُلّ مَن تُسوّل لهُ نفسهُ أنْ يُحاول التخلّص من تلكَ البرديّة، أو يقوم بتدميرها بأنْ ينالَ عقابًا مُشابهًا لِمَا حدثَ لصاحبتها والمقصود شخصيّة (إيمونت)، التي تحكي البرديّة قصّتها وقصّة لعنتها.

أخذَ نفسًا عميقًا وتابعَ وكأنَّهُ يُزيحُ ثِقلًا عن كاهلهِ:

- لكنْ ليسَ هذا وقت التفاصيل الدقيقة، هيّا، باقي اليوم للتعارُفِ فيما بينكم، وبمثابة راحة بعدَ عناء الجميع من السفر.

قالها وأشارَ للجميعِ بالانصراف، كانَ قد نجحَ بالفعلِ في أنْ يُشعلَ حماس جُلّ أعضاء الفريق الكشفي، وانصرفَ الجميع بالفعل، وخرجَ (راتب) و(بدر) لكنَّ الأخيرَ كانَ قد انشغلَ ذهنه بما رواهُ الدكتور (وهدان)، وظلَّ عقله مُنشغلًا

بما قال.. وتوقفَ طويلًا عندَ النقطة الخاصّة باللعنة.

الفصل الثالث

بزوغ الفجر، حيثُ شَّمس الذهبيّة تُرسل أشَّعتها الأُولى لتخترق ظُلمة المعبد، مبدّدةً السكون الذي يلّف المكان.

تتسلّل الأشّعة عبرَ أعمدة المعبد الشاهقة، تتخلّل النقوش الهيروغليفيّة المنحوتة على جُدرانه، التي تروي قصص الإله مع المصريين.

تحتَ سقف السّماء الزرقاء، يقف معبد (آمون) كَقلعةٍ حصينة، صرح من الرهبةِ والجلال.

في قلبِ المعبدِ قُرب المذبح العظيم، حيثُ يعلو تمثال (آمون) المصنوع من الذهبِ الخالص والمُزيَّن بالأحجارِ الكريمة، تتقد نّار أبديّة تُضيء المكان بضوءٍ خافت، يزيد من هيبةِ المشهد.

هُنا، تتجمّع الفتيات العذراوات خادمات المعبد في صفوفٍ مُتناسقة، وهُنَّ يرتدينَ ثيابًا ناصعة البياض كَالثلج، يحملنَ أكاليل الزهور وعطورًا مُقدّسة على رؤوسهنَّ، تتلألأ التيجان الفضيّة التي تعكس نور الشَّمس الخافت في سطوعٍ هادئ، يُضفي على المشهد طابعًا سماويًا.

تتقدّم كبيرة الكهنة (إيمونت) بخطواتٍ واثقة، مُلتحفةً بثوبٍ فاخر مُطرّز بخيوطٍ ذهبيّةٍ وأحجارٍ كريمة، يتدلى منهُ وشاح مَلَكي يحمل رمز القوّة والحكمة، شعرها الداكن مُلّتف بعنايةٍ حولَ تاجها المُرصّع

باللازورد، وعينيها اللتين تلمعانِ بالمعرفةِ والخبرة تُتابعان كُلّ حركة في المعبد

بتركيزٍ وإجلال.

تحمل في يدها صولجانًا مُقدّسًا يرمز إلى سُلطانها الديني

والرّوحي على هذا الطقس العظيم.

(إيمونت)، كبيرة كهنة آمون، تقف وكأنّها تجسيد حيّ للجمالِ الإلهي، الذي ينبعث من حضارةِ مصر العريقة.

وجهها كانَ لوحة من التناسُق المثالي، بشرة خمريّة تميل للبياضِ مع حُمرةٍ تُكسبُها رونقًا خاصًّا تُنيرها أشّعة الشَّمس الذهبيّة، فتُضفي عليها وهجًا سماويًّا.

ملامحها دقيقة، حيثُ عينيها الواسعتينِ المرسومتينِ بلونٍ أخضرٍ زُمردي، تلمعانِ كما لو أنَّ (آمون) نفسهُ قد أودعَ فيهما أسرار الكون! نظراتها عميقة، تحملُ في طيّاتها حكمة العصور القديمة وقوّة الروحانيّة التي ميّزتها عن سائرِ البشر.

شعرها الفاحم يتدلى بانسيابيّة على كتفيها كالشلّال، مُلتفًا في ضفائرٍ طويلة تتزين بخرزاتٍ ذهبيّة صغيرة تعكس الضوء بلمعةٍ خفيفة كُلّما تحرّكت.

تاجها المَلَكي المصنوع من الذهبِ والمُرصع

بأحجارِ اللازورد والياقوت، يزيدها مَهابة وجمالًا، وكأنَّها تُجسّد الربّة التي تقف بينَ الأرضِ والسماء.

جبهتها العريضة تكللتْ بأقواسٍ دقيقة من الحواجب السوداء وكأنَّها رُسمت بريشةِ فنانٍ ماهر، تزيد من تعبير وجهها المَلَكي وقوّته.

كانتْ شفتاها مُمتلئتينِ بلونٍ ورديٍّ طبيعي، تنبضان برّقةٍ كُلّما تلّفظت كلماتها في الصلوات.

عندما تتحدّث، يصدر صوتها بنغمة هادئة وعميقة، مثل نسيمٍ يأتي من بعيدٍ ليغمرَ كُلّ مَن يسمعها بالسكينة.

أمَّا خدّيها فكانا مُحمّرينِ برّقة، تضيف على وجهها مسحة من الحيويّةِ والجاذبيّة الطبيعيّة، وكأنَّها تجسيد حيّ للحياةِ ذاتها.

أمَّا جسدها فكانَ رشيقًا ومُتناسقًا، يرتدي ثوبًا من الحريرِ الأحمر الذي ينساب على مُنحنياتها برّقةٍ ويكأنَّهُ جزءًا منها.

كانَ الثوب مُطرّزًا بخيوطٍ ذهبيّةٍ رقيقة تتشابك في أنماط هندسيّة مُقدّسة، تعكس وقارها وجمالها الذي لا يُقاوم، كُلّ حركةٍ منها كانتْ تنبعث منها أناقة ورشاقة، تخطف الأنظار وتجعل كُلّ مَن يراها يُدرك أنَّهُ أمامَ كيانٍ من الجمالِ السماوي.

لكنَّ الجمال الجسدي ليسَ وحدهُ هو ما جعلَ (إيمونت) مُبهرة؛ بل كانَ هُناكَ شيء أعمق في حضورها، إذ كانتْ تشّع قوة داخليّة، طاقة روحيّة تجعل كُلّ مَن يقف في حضورها يشعر بجاذبيّةٍ غامضة، وكأنَّها تُمثّل الرابط بينَ الآلهة والبشر.

جمالها كانَ مُجاوزًا للزمن، يتناغم مع رّوحها النقيّة وتفانيها في خدمة (آمون)، ممّا جعلها جميلة ليستْ من الخارجِ فحسب؛ بل أيضًا تجسيدًا حيًّا للجمالِ الداخلي الخالد.

تبدأ (إيمونت) بتلاوةِ تراتيلٍ مُقدّسة بلغة كهنة المعبد، تتردّد كلماتها العتيقة عبرَ أرجاء المعبد، كأنَّها صدىً قادم

من زمنِ الآلهةِ نفسها!

- "يا (آمون)، يا ربّ الأرباب، يا سيّد الشَّمس والقمر،

يا من تُشرقُ بنورِكَ على الأرضِ والسماء، نرفعُ إليكَ قلوبنا وأرواحنا، نَحنُ عبادك المخلصين طالبينَ رحمتكَ وبركتكَ التي لا تنتهي.

أنتَ الخالقُ والمُدبِّر، يا مَن تُسيطرُ على الفصولِ وتجعل النيل يفيض وتُخصّب الأرض بفيضكَ الكريم، نطلبُ منكَ

يا (آمون) العظيم أنْ تحفظَ لنا أرضنا وتُبارك حصادنا، وتجعل الأعداء يهربونَ أمامَ قوّتك.

أنتَ الذي تنفخ الحياة في كائنات الأرض، والسماء تُسبح

لكَ في الليلِ والنهار، كما تُسبح لكَ مياه النيل المُتدفقة.

يا (آمون)، اجعل طريقنا مُضاءً بنورِ حكمتك، واحفظ لنا شعبك وملككَ الذي يحمل تاجك المُقدّس.

يا سيّد الحقّ، يا ربّ العدل، نسألك أنْ تحمينا من

الظُلماتِ والأعداء، وأنْ تظل عيونك الحاميّة ساهرة

على معبدك وعبادك، نَحنُ نُقدّم لكَ هذهِ القرابين، كرمزِ ولاءٍ وطاعة، طالبينَ رضاكَ وبركتكَ التي تملأ قلوبنا بالسّلام.

أيُّها العظيم، اسمع دعاءنا واستجب لنا، فأنتَ القادر على كُلّ شيء، والرافع لأرواحنا نحو السماء، لتكونَ قريبة من عرشك السماوي.

يا (آمون)، يا سيّد النور والحياة، لكَ المجد والرِفعة إلى الأبد.".

تتوقف (إيمونت) للحظة، ثُمَّ تهمس:

- باسمكَ يا (آمون) نُحيي الأرض ونعبد السّماء.

الأصوات تتعالى والأرض تهتزّ تحت الأقدام وكأنَّ الآلهة تُرسل علامات رضاها، تُقدِّم العذراوات واحدة تلو

الأُخرى القرابينَ إلى المذبح؛ الفواكه الناضجة،

الزهور الزاهيّة، وأواني من العطور والزيوت النقيّة، يتمّ وضعها بدّقةٍ قُرب تمثال (آمون)، تحتَ إشراف (إيمونت)، التي تُراقب كُلّ حركة بِعينٍ لا تُخطئ.

تعلو أصوات الطبول والمزامير في توافُقٍ مهيب، وكأنَّها تعزفُ لحنًا أبديًّا يتناسب مع عظَمة اللحظة، يملأ عبير البخور المُقدّس الأجواء، مُشّبعًا برائحةِ خشب الأرز والمُرّ، يتصاعد في خيوطٍ رفيعة نحو السماء، كأنَّهُ يحمل الدُعاء

والتوّسل إلى (آمون) ربّ الخصب والبركة.

ترفع (إيمونت) ذراعيها نحوَ السّماء، والجموع خلفها تنحني برهبةٍ مُطلقة، تهمس بآخر كلماتها في الدُعاء، ثُمَّ تُضيءُ النّار المُقدّسة مرّةً أُخرى بقرصِ الشَّمس الذي تحملهُ إحدى الفتيات العذراوات، كعلامةٍ على بدايةِ البركة الإلهيّة.

يُرسِل (آمون) رِضاهُ عن القرابين المُقدّمة عبرَ إشاراتٍ غير مرئيّة، وتشعُر الحاضرات بطاقةٍ روحيّة قويّة تجري في عروقهنَّ.

تستمر الطقوس حتّى الظهيرة، حيثُ تنتهي بمشهد الفتيات العذراوات وهُنَّ يرقصنَ رقصة مُقدّسة، أقدامهنَّ تدبّ برفقٍ على أرضِ المعبد، وأيديهنَّ ترفرف كأجنحةِ الطيور، يُعبِّرنَ عن شُكرهنَّ لآمون وتأكيد ولائهنَّ لهُ.

في هذهِ اللحظة يُتمم المعبد رسالته في التواصلِ بينَ الآلهة والبشر، ويعود إلى سكونهِ الذي لا يكسرهُ إلا همسات الرياح التي تحمل عبر الأزمان حكمة العصور القديمة.

وتوقفت (إيمونت) بينَ الأعمدة ترسم بجسدها الرقيق لوحة فنيّة لا ينقصها إلَّا ريشة فنّان يُوثقها!

الفصل الرابع

- (بدر).. (بدر).

استيقظ يا صديقي، يبدو أنَّها كانتْ غفوة مُمتعة.

قالها (راتب) ضاحكًا وهو يلكز بيدهِ صديقه (بدر)، الذي غلبهُ النُّعاس أسفل ظلّ تلكَ الشجرة الكبيرة وارفة الأغصان على ضِفافِ النيل قُرب الفندق الذي يقطنون بهِ.

فتحَ (بدر) عينيهِ في تراخٍ، كانَ يُحاول أنْ يجمع شتات فِكره ليُدرك أينَ هو، اعتدلَ جالسًا مُستندًا بظهرهِ إلى جذعِ الشجرة، وهو يفرد ذراعيهِ مُحاولًا نفض آثار النُّعاس عنهُ وقال:

- لم أشعر وغلبني النُّعاس، تلكَ النسمة الرقيقة مع صوت حفيف أوراق الشجر، جعلني في حالة استرخاء غريبة لم اشعر بها مُنذُ فترة طويلة.

قاطعهُ (راتب) مازحًا:

- لكنَّكَ قد رأيتَ حلمًا جميلًا أثناء غفوتك، لقد كُنتَ تبتسم كَالطفلِ الصغير، وتتحرّك عيناكَ أسفل جفناك بسرعةٍ وكأنَّك تُشاهد فيلم مُمتع، هيّا قصّ عليَّ ما رأيت، أشتمُ رائحة امرأة هناك.

ضحكَ (بدر) لأوّل مرّة مُنذُ وفاة أُمّه، وقالَ وهو يفرك شعره بيدهِ مُحاولًا بثّ النشاط في رأسه:

- بالفعلِ كانتْ هُناكَ امراة.

اعتدلَ (راتب) وأمسكَ بذراعِ (بدر) وهو يصرخ:

- لقد كُنتُ واثقًا من هذا، هيّا قصّ عليَّ الحلم بالتفصيل المُمّل.

سرحَ (بدر) وهو يعتصر ذهنه مُحاولًا تذكُّر التفاصيل.

- لا أتذكّر جيّدًا التفاصيل، لكنْ كانتْ هُناكَ (إيمونت)

امرأة في غايةِ الجمال، ومعبد للإلهِ (آمون)

وفتيات يرقُصنَ وصلوات.

اتسعتْ عينا (راتب) وصرخ:

- فقط!!

أهذا ما أضحككَ وأنتَ نائم؟

تابعَ (بدر) ضاحكًا:

- أجل، هذا فقط .

لكنَّ التفاصيل كانتْ في غاية الروعة وبخاصّة (إيمونت)؛ لقد كانتْ رائعة الحُسن لم أرى أيّة فتاة أو حتّى امرأة

في جمالِها من قبل.

- أبشِر يا صديقي، هذهِ بداية الجنون.

قالها (راتب) وقد أطلقَ ضحكةً عالية، ابتسمَ لهُ (بدر) وتابع:

- معكَ حقّ، أشعر بهذا فعلًا.

تابعَ (راتب) وهو يُصفِّق بيدهِ في تَعجُبٍ:

- أنا مَن تسبّبَ في هذا، لعنةُ اللَّهِ على دكتور (وهدان) واستكشافاتهِ المجنونة، سوفَ يتسبب في ضياعِ

عقل أعزّ أصدقائي.

ضحكَ الاثنانِ بعدها، لكنَّ عقل (بدر) كانَ يُفكّر فيما قال (وهدان) فعلًا، وأخذَ يسترجع كُلّ تفاصيل الاجتماع.

وتوقفَ عندها، تذكّرها.. (إيمونت).

فجأة احتلّتْ كُلّ تفكيره، لا يذكّر أبدًا أنْ رأى في أيّ حُلمٍ طوال حياتهِ ملامحَ أحدٍ بهذا الوضوح، وهذهِ الرّقة وهذا الجمال في الوقتِ ذاته!

سرحَ في جمالِها.. كادتْ شفتاهُ أنْ تصرُخَ باسمها (إيمونت) أينَ أنتِ؟!

ارتجّتْ جُدران المعبد أمامَ هذا النداء الجهوري، وفجأة خرجتْ (إيمونت) من بينِ ثنايا الظلام، وانحنتْ أرضًا بكاملِ جذعِها وهي تقول في خوفٍ واضح:

- مولايَ وإلهي العظيم (آمون) خالِق الأكوان ومُسيِّر الخلائق بجلالهِ.

أتى الصوت مرّة أُخرى من بينِ الأعمدة يشّق السكون في المعبد..

- لماذا تتخاذلينَ في طاعتي؟

ارتجفَ صوتها من الخوفِ وتلعثمتْ وهي تقول:

- مَن ذا الذي يتخاذل في طاعةِ ربّ الأرباب وسيّد الأكوان، سامِح زلّاتي وضعفي، أقِمني من أمامِ وجهك، انفخ فيَّ من رَّوحكَ كي أنشرَ في الأرضِ كُلّها اسمكَ العظيم.

أتى الصوت مرّة أُخرى يهزّ أرجاء المكان بالكامل:

- لقد تهاونتي في حقوقي لدى عبادي.

كانتْ قد خرّتْ بوجهها أرضًا بالكاملِ حتّى أضحتْ مُستلقية أمامَ وجهِ تمثال (آمون) الذهبي.

- هُم عبادُكَ المخلصون، وما فعلت إلَّا ذرّة من رحمتكَ بنا،

الأرض نأتْ أنْ تُخرجَ خيراتها بأوامرك، ضاقَ الحال بعبادك، تغمّدهُم برحمتكَ ومحبّتك، كُلّ عبدٍ أتى بما يستطيع أنْ يُقدَّمَ لجلالك، فسارعتُ بردِّ جزءٍ منهُ لهم؛ ليشكروا إلاههم (آمون) العظيم.

قاطعها الصوت بغضب، ارتجفتْ لهُ أوصالها.

- برحمتي منعتُ خروج خيرات الأرض، أُريدُ أنْ أفرزَ عبيدي المُخلصين كما يفرز الحب، أيُّهما صالح وأيُّهما لا يستحقّ.

بمشيئتي تسير الأمور.

ارتجفتْ وانهمرتْ دموعها:

- بالطبعِ يا إلهي العظيم، بمشيئتكَ وحدك،

بمشيئتكَ وحدك.

اختفى الصوت لكنَّها لم تتحرّك، ساكنة من شِدّةِ رُعبها، ظلّتْ مُستلقية أرضًا أمامَ تمثالهِ الذهبي، وأخيرًا اعتدلتْ وهي مُنكسة الرأس والدمعُ يُغرّقُ وجهها:

- اغفر لأمتكَ المسكينة، خادمتكَ الضعيفة (إيمونت)

لا تبغي سوى رضاك.

قالتها وانهارتْ في البُكاءِ حتّى رسمتْ دموعها خطًّا أسفلَ التمثال الذهبي.. كَنهرٍ صغيرٍ يشّق طريقهُ بينَ الصخورِ باحثًا عن سبيلٍ للغُفران!!

الفصل الخامس

أربع ساعاتٍ كاملة ونَحنُ نسير تحت هذهِ الشَّمس الحارقة، أليسَ لهذا الطريق نهاية؟

قالها (راتب) وهو يتصبَّبُ عرقًا ويلهث من السيرِ بينَ الصخورِ والشقوق في الطريقِ الجبلي.

نظرَ لهُ (بدر) وكتمَ ضحكة كادتْ أنْ تُفلتَ بصوتٍ مُرتفع خوفًا من باقي أفراد البعثة؛ إذ أنَّ (راتب) قد وضعَ قميص قصير الأكمام فوقَ رأسه، ليقي نفسهُ من قَيظِ الشَّمس الحارقة، وتتساقط قطرات العرق لتغمر جسده بالكامل وكأنَّهُ يغرق فعليًّا، ممّا جعلَ (بدر) يضحك عليهِ، مالَ على أذنهِ قائلًا بصوتٍ خافت:

- اصمد يا صديقي، كدنا أنْ نصلَ إلى الموقعِ المُحدّد، أمامنا أقل من اثنين كيلو متر تقريبًا.

صدرتْ شهقة عالية من (راتب) وتوقفَ عن السيرِ وهو يصرخ:

- اثنين كيلو متر!!

أمَا زالَ أمامنا كُلّ هذهِ المسافة؟

اللعنة، لماذا لا نقوم بالاستكشاف في القاهرة

وسط المدينة؟

لماذا كُلّ البعثات في الصحراء تحت الشَّمس الحارقة؟

هذهِ المرّة لم يستطع (بدر) أنْ يكتمَ ضحكاته، كانا قد تذيلا الفريق في السير، ولكنْ بعدَ ضحكَ (بدر) توقفَ الفريق
بالكاملِ والتفَ لينظُرَ إليهما.

شعرَ (بدر) بالحرج فتقدَّمَ وأمسكَ ذراع (راتب) وجذبهُ وهو ينظر أرضًا من الخجل، وتحرّكا مُسرعَينِ للحاقِ بباقي أفراد البعثة.

مالَ مرّة أُخرى على أُذنِ (راتب) وهو يهمس:

تحرّك أسرع، أفراد البعثة كُلّهم ينظرونَ الينا، ولا نُريدُ
أنْ نتعرّضَ لإنتقاداتٍ أو كلامٍ مُهينٍ من دكتور (وهدان) مثلما حدثَ في آخرِ بعثةٍ معه، ولن يتركنا إلَّا بعدَ أنْ يُلقي علينا مُحاضرة عن الالتزام بالعمل، وأخلاقيّات العاملينَ
في مجالِ الآثار والاستكشافات، الخ.

هزَّ (راتب) رأسهُ مُوافقًا:

- معكَ حقّ، أعتقد أنَّ الشَّمسَ أرحم من تلكَ المُحاضرة.

صمتَ الاثنان وتابعا السير، وبعدَ نصف ساعة تقريبًا توقفَ الدكتور (وهدان)، واستدارَ ليُواجهَ أفراد البعثة وهو يُشير لهم بيدهِ بعلامة التوقف.

- لقد وصلنا إلى المكانِ المنشود، سوفَ يشرع المُساعدين في نصبِ الخيام الخاصّة بالبعثة الاستكشافيّة، بينما يشرع باقي أفراد الفريق من الذكورِ في تأمين حدود المنطقة المُحيطة من الحيواناتِ المُفترسة والثعابين والعقارب، عن طريقِ نشر بعض الأعشاب

الطاردة، وعمل حزام ناري يُحيط بالمنطقة بالكامل، وعلى السيّدات والانسات تجهيز وجبة الغذاء لأفراد البعثة.

كانَ يُملي أوامرهُ وكأنَّهُ ملكٌ متوّج وهُم من رعاياه،

ممّا جعلَ الأغلبيّة يُنفذونَها على مضض.

كانتْ شخصيّة الدكتور (وهدان) شخصيّة غريبة غير محبوبة تمامًا بينَ أفراد وأعضاء المُستكشفين أو البعثات التابعة لهيئةِ الآثار، لكنَّ هذا لا يمنع كونهِ من أفضلِ الشخصيّات الأثريّة في تاريخِ مصر الحديث.

تحوّلَ الموقع الذي تمَّ اختيارهِ لعملِ المُعسكر للفريقِ الكشفي إلى ما يُشبه خلية النّحل؛ كُلّ شخصٍ يقوم بدورهِ بمُنتهى الدّقة، استمرَ العمل قُرابة الساعتينِ أصبحَ بعدها المُعسكر جاهزًا لاحتواءِ الفريق الفترة المُقبلة.

زحفَ الظلام سريعًا نتيجةً لخلّوِ هذهِ الليالي من القمر، أصبحَ المكان عبارة عن مُعسكر كشفي صغير تُحطيهُ سياجٌ صغيرة نسبيًّا وبعض المشاعل، وتتوسطهُ شُعلة نيران هرميّة الشكل على الطريقةِ الكشفيّة المُتّبعة؛ حيثُ أنَّ الطريقة الهرميّة تصلُح لكُلِّ الأغراض، كَتحضيرِ الطعام

وكذا الحراسة والتدفئة.

تجمَّعَ جُلّ أفراد الفريق حولَ جذوةٍ من النيرانِ المُشتعلة عدا العُمَّال المُشاركينَ في التنقيب؛ حيثُ مَهمة الحراسة.

جلسَ الدكتور (وهدان) وبجوارهِ مُساعده (زياد) وباقي أعضاء الفريق على شكلِ دائرة مُكتملة حولَ نيران المُعسكر، وعلى الطرفِ الآخرِ من الدائرةِ كانَ (بدر) و(راتب) يستمعانِ إلى اِرشادات وتعليمات الدكتور (وهدان) مع بعضِ النقاط التي يُضيفها مُساعده.

هذهِ النقطة التي نَحنُ بها الآن تَبعُد عن مكانِ التنقيب الخاصّ بالمعبد المنشود حوالي أربعمائة متر تقريبًا،

وقد تمَّ اختيارها لأنَّ الأرضَ بها شِبه مُنبسطة تصلح للتخييم، وأشارَ بيدهِ إلى نقطةٍ أعلى بقليلٍ عن مكان المُعسكر وتابعَ الشرح:

- مكان التنقيب هُناكَ تقريبًا في تلكَ النقطة ولكنْ لن نتحرّك إليهِ اليوم، بل مع خيوطِ الفجر الأُولى سوفَ نتحرّك جميعًا، للفحصِ ووضعِ خُطّة التنقيب والاستكشاف ثُمَّ نبدأ العمل.

وسوفَ تُقسَم المجموعة إلى فريقينِ، الفريق الأوّل وهو المُختصّ بأعمالِ الحفر والنقيب، ويتكوّن من عُمّالِ الحفريّات ويرأسهُ مُساعدي السيّد (زياد)، ويُعاونهُ مجموعة منكم وهُم أربعة، الدكتورة (لبنى) ومُساعدها (فرج)،

وصمتَ قليلًا ونظرَ تجاه (بدر) و(وراتب) وتابعَ وملامحهُ تحمل الكثير من الاشمئزاز مُشيرًا إليهما:

- أنتما الاثنان.. ما اسمكُما لا أتذكّرها جيّدًا؟

كانَ من الواضحِ عليهِ رغبتهُ في الاستهزاءِ بهما واحراجهما أمامَ باقي أعضاء الفريق، فابتسمَ (راتب) وقالَ مازحًا:

- تلميذُكَ (راتب) وهو (بدر)، نَحنُ معكَ في كُلِّ مَهامك الاستكشافيّة تقريبًا يا دكتور، مُنذُ أكثر من خمسِ سنوات.

هزَّ الدكتور (وهدان) رأسهُ في فَهمٍ لكنَّ ملامحهُ مازالت تحمل نفس التعبير بالاشئمزاز وتابعَ:

- حسنًا.. حسنًا وأنتما أيضًا مع المُنّقبين،

وأمَّا باقي أعضاء الفريق فسوفَ أختار منهم فريقًا لمجموعتي، التي سأترأسها شخصيًّا ومَهمتنا هي البحث والاستكشاف لكاملِ المنطقة، والعثور على أيّ آثارٍ أو دلائل وتحليلها.

وعن الباقينَ فسوفَ يتمّ تقسيم العمل بينهم داخل المُعسكر ذاتهِ بينَ حراسة ومَهام التخييم من مأكلٍ ومشرب.

- هل من أسئلة؟

وأخذَ ينظر إلى الجالسينَ مُنتظرًا أسئلتهم، وبالفعلِ كانتْ الدكتورة (لبنى) هي أوّل المُتحدّثينَ، والتي أشارتْ بيدها فأذنَ لها:

- لقد كُنتُ من الأفرادِ الذّينَ قاموا بفحصِ البرديّة وأفَهم جيّدًا أهميّة ذلكَ الموقع، لكنْ وددتُ لو شرحتَ لنا بنفسكَ يا دكتور عن طبيعةِ المكان، وعن ما الذي سنبحث عنهُ بالضبط؟

ابتسمَ دكتور (وهدان) في تفاخُرٍ؛ إذ كانَ يُحِبُّ التحدُّث والتفاخر جدًّا، أومأ لها برأسهِ مُوافقًا وشرعَ في الشرحِ

لأعضاءِ الفريق:

- حسنًا، أهميّة ذلكَ المكان تعود إلى أنَّهُ كانَ يضمّ بينَ جنباتهِ أكبر وأقدم معبد لعبادةِ الإله (آمون)، ليسَ هذا فحسب؛ بل إنَّ هذا المعبد يوجد بهِ شيئين فريدينِ للغاية، أوّلهما تمثال بحجمِ اِثني عشرَ مترًا أي أنَّهُ أكبر من تمثال رمسيس الثاني تقريبًا، والموجود بالمُتحفِ الحديث للإلهِ (آمون)، ولكنَّ مَيزتهُ ليستْ بحجمهِ وحسب، بل لكونهِ مصنوعًا من الذهبِ الخالص.

تعالتْ الهمهمات وارتسمت الدهشة على كُلّ الوجوه، فاتسعتْ ابتسامته أكثر وتابعَ قائلًا:

- أجل، كما سمعتم، فقد أشارتْ البرديّة إلى هذا الأمر بكُلِّ وضوح، ومن المُتوقعِ أنْ يكونَ التمثال مدفونًا بينَ الرمال.

وتابعَ وهو يُشيرُ بيديهِ بعلامةِ القَوسينِ:

- إنْ لم يَكُن قد سُرِقَ وقُطِّعَ على مرِّ العصور الغابرة، لكنَّنا لن نيأس، ولدينا أملٌ كبير في العثورِ عليهِ؛ إذ يُعَدُّ عملًا فريدًا بالنسبةِ للحجمِ والتكوين، والأمر الآخر هو (إيمونت).

صمتَ قليلًا ليُضفي التشويق على حديثهِ:

- إنَّها أُسطورة مُتجسّدة، إذ أنَّ الكِتابات القديمة كانتْ قد أشارتْ إلى كونها الصورة الأُنثويّة للإلهِ (آمون) وأنَّها مثيلًا له، فشاعَ الظنّ بينَ العُلماء أنَّها هي هو!

ولكنْ كَعادة المصري القديم لتقديسِ المرأة صوّرَ الإله (آمون) في صورةٍ أُنثويّة، وقد أكدتْ تلكَ البرديّة بشكلٍ قاطعٍ أنَّها شخصيّة حقيقيّة، كما كانتْ كُبرى خادماتِ الإلهِ (آمون)، وفجأة ولا نعلم السبب قد تمَّ لعنها واختفتْ بعدَ ذلكَ من صفحاتِ التاريخِ القديم، حتّى عثرَ المُنّقبونَ على تلكَ البرديّة التي توضح العديد من النقاط حولَ المعبد، وتلكَ الشخصيّة الأُسطوريّة (إيمونت).

قالها وصمتَ ليُخيمَ الصمت على الجميع، لكنَّ عقولهم كانتْ مُنشغلةً بشيءٍ واحدٍ فقط.. (إيمونت).

الفصل السادس

أسدلتْ الشَّمس أشَّعتها الذهبيّة على الجسدِ الساجد أرضًا في ذلكَ الرُكن القَصيّ من المعبد، ممّا جعلَ الظلّ يرسم لوحة لو رأيتها لسرحتْ في جمالهِ وعظيمِ اِبداعه!

ظلّتْ هكذا لفترة، تتلو صلواتها في خشوعٍ وهدوء، حتّى تكاد تشعُر أنَّ هذا الجسد البضّ المُفعم بالحيويّةِ قد فارقتهُ الحياة.

وأخيرًا تحرّكت، كانتْ قد انتهتْ من صلاتها لهذا اليوم، نهضتْ ببطءٍ كي تمنحَ عضلاتها -التي كادت أنْ تتيبسَ من كثرةِ السجود- بعض النشاط.

واستندتْ بظهرها على أحدِ الأعمدة التي تغمر المعبد الضخم، تنظر إلى ذلك الفضاء الشاسع، تاركة لأشَّعة الشَّمس _التي أوشكتْ على المَغيب_ الفُرصة في مُداعبةِ ثنايا جسدها وغمرهِ بفوائدها.

كانتْ الأجواء هادئة، يلّفها صمتٌ عميق، يَحملُ بطيّاتهِ رهبة الزمن وأسرار الآلهة.

وفجأةً قد لمحتْ عجوزًا محنيّة الظهر؛ بفِعلِ الزمنِ والهموم، تتقدَّم نحوَ المذبح المُقدّس.

كانتْ خطواتها بطيئة، مُتثاقلة، وكأنَّها تحملُ جبالًا من الألمِ على عاتقها، وبيدينِ مُرتعشتينِ حملت وعاءً صغيرًا مملوءًا

بالطحينِ والشعير، آخر ما تبّقى لها من قوتها.

وجهها الشاحب، الذي خَطَّ الزمانُ على جبهتهِ تجاعيدًا لحُزنٍ لا يُحتمل، عاكسًا لحياةٍ من الكفاحِ والعذاب.

عيناها الذابلتانِ قد تشّبعتا بالدمع، هذا الدمع الذي لم يَجد مفرًّا سوى الانهمار بلا توقف، وكأنَّهُ ترجمة لصرخاتها الصامتة!

وبصوتٍ مُتهدجٍ وخافت، وقفت العجوز أمامَ تمثال (آمون) العظيم، أمسكتْ بوعائها وكأنَّها تُمسكُ بأملها الأخير، شرعتْ تقول:

- "يا (آمون) العظيم، يا مَن لا يغفل ولا ينام، خُذ منّي هذا القليل الذي أملكه، فهو كُلّ ما تبّقى لي، إنّي أطلبُ منكَ رحمتكَ وعطفك.. جئتُكَ طلبًا لشفاءِ ابني الوحيد، الذي بقيَ لي بعدَ أنْ أخذَ الموت زوجي وبقيّة أبنائي.

لا أطلبُ ثروة ولا مجدًا، فقط أنْ تُبقي لي ابني، إنَّهُ نور عيني، حياتي المُتبّقية في هذهِ الدُّنيا."

انحنتْ العجوز ببطءٍ ووضعتْ وعاء الطحين والشعير أمامَ المذبح، وكأنَّها تضع قلبها ذاتهِ بينَ يدي الإله!

ارتعشَ جسدها النحيل من البُكاءِ المكبوت، واهتزّتْ شفتاها بالدُعاء:

- "يا (آمون)، استجب لي، أنقِذ ابني من براثنِ المرض، فلا حياةَ لي بدونهِ."

وفي ذلك الرُكن المُظلم من المعبد، كانتْ (إيمونت) تقف بلا حراك، تُراقبُ المشهدَ في صمتٍ مُطبق.

عيناها اللامعتانِ في آخرِ ما تبّقى من خيوطِ الشَّمس، كانتا تُتابعانِ كُلّ حركةٍ للعجوز، وكُلّ كلمة تتردّد في أجواءِ المعبد.

شعرتْ بثِقلٍ في قلبها وكأنَّها تعيشُ ألم الأُمّ العجوز لحظةً بلحظة،قد رأتْ في عيني تلكَ السيّدة رجاءً يائسًا، ودُعاءً نابعًا من روحٍ كسرتها الحياة.

(إيمونت)، رغم سُلطتها وجلالتها، شعرت بعجزها أمامَ هذا المشهد المؤثر، لم تستطع تحريك شفتيها أو تقديم كلمات عزاء، وكأنَّ قوة غير مرئيّة قد شلّتْ لسانها، لم تَكُن ترى أمامها عجوزًا فقط، بل رمزًا لكُلِّ المُعاناة البشريّة، لكُلِّ مَن فقدوا أحبّائهم وبقيَ لديهم أمل ضعيف، يتشبثونَ بهِ.

أغمضتْ عيناها لبُرهة، وشعرتْ بدمعةٍ تتسلّل ببطءٍ على خدّها دونَ أنْ تُدرك، كانت لحظة نادرة حيثُ انصهرتْ الروحانيّة والقوة مع الإنسانيّة، فشعرتْ كبيرة الكهنة أنَّ أعظم الطقوس قد لا تكفي لملءِ الفراغ الذي يتركهُ الحُزن في قلبِ أُمٍّ مثل هذهِ!

اقتربتْ من العجوزِ الساجدة تبكي، وانحنتْ وربتتْ على ظهرها بهدوء، رفعتْ العجوز عيناها تنظر فإذا بها أمام كبيرة الكهنة، أسرعتْ تعتدل وهي تُمسكُ بيدِ (إيمونت) لتُقبّلها، فأسرعتْ الأخيرة بسحبِ يدها، وربتتْ مرّة أُخرى على رأسِ العجوز وضمّتها إلى صدرها، ممّا جعلَ العجوز تنهمر في البُكاءِ مرّةً أُخرى، لم تستطع

(إيمونت) أنْ تحبسَ دموعها هي الأُخرى، فشرعتا في بُكاءٍ كثيرٍ حتّى اختلطتْ دموعهما معًا.

وأخيرًا اعتدلتْ (إيمونت) وأمسكتْ بذراعِ العجوز تُساعدها على النهوض، وسارتْ بينَ جُدارنِ المعبد الشاهقة حتّى وصلتْ إلى غُرفةٍ كبيرةٍ بابها عملاق، تقف فتاة من خادماتِ المعبد أمامهُ، والتي بمُجرّدِ أنْ رأتْ (إيمونت) حتّى انحنتْ لها احترامًا واجلالًا، أشارتْ لها الاخيرة بفتحِ الباب، لكنَّ الفتاةَ قد امتقعَ وجهها، وتوقفتْ لا تدري ماذا تفعل، وقالت بتلعثمٍ:

- ولكنْ مولاتي (إيمونت) هذا مخزن العطايا والقرابين الخاصّ بالإلهِ (آمون)، وغير مسموحٍ للمُدنَسينَ بدخولهِ.

اشتعلتْ نظرات الغضب بعيني (إيمونت) فصرختْ بها:

- أطيعي الأوامر يا (ميرت-كا)، أنا كبيرة الكهنة هُنا، وأنا مَن يأمركِ بهذا.

امتقعَ وجهها أكثر وانحنتْ أرضًا طلبًا للمغفرة، وأسرعتْ بتنفيذِ أمرِ (إيمونت).

تحرّكتْ (إيمونت) وهي تُمسكُ بذراعِ العجوز وتجذبها معها إلى داخلِ الغُرفة، ثُمَّ توقفتْ وأشارتْ لها قائلة:

- خُذي ما تشائين.. هذهِ هبةٌ من الإلهِ (آمون) العظيم، لقد أخبرني أنْ أفعلَ هذا، وليسَ هذا فحسب، بل قد أخبرني أيضًا أنَّ لكِ ما طلب قلبكِ!

اتسعتْ عينا العجوز في ذهولٍ ولم تستطع أنْ تنطق بأيّ حرفٍ وكأنَّ المُفاجأة قد أصابتها بالشلل، فارتمتْ أرضًا لتُقبِّلَ أقدام (إيمونت)، التي تراجعتْ وجذبتها لتُساعدها على النهوض، وهي تبتسم لها برغم الدمع الذي قد ملأ عينيها وقالتْ:

- خُذي ما شئتِ.

تحرّكتْ العجوز غير مُصدّقة، ومن خلفها (إيمونت) قد وقفتْ تنظر لها، وتُتَمتِم ودمعها يُغرّقُ وجهها:

- هذا ما يجب على الإلهِ فِعله.. أجل، هذا ما يجب.

الفصل السابع

كانَ (بدر) مُنهمكًا في فحصِ التُربة بموقعِ البحث الذي تحرّكت إليهِ البعثة فجرًا، وقد حملَ في حزامٍ حولَ خصرهِ مجموعة من مُعدّاتهِ التنقيبيّة، مثل معول صغير وفرشاة كبيرة وأُخرى صغيرة، ومنفاخ صغير يدوي لنفضِ الأتربة من على القطعِ الأثريّة.

بيدٍ خبيرة ظلَّ يُقلّبُ بينَ الحجارة المُلقاة أرضًا، واحيانًا يستخدم المعول أو الفرشاة في نفضِ الغُبارِ والحصى الصغيرة، شعرَ بحركةٍ خلفه استدار ليرى فوجد (راتب) قد اقترب منه، وكأنَّهُ يفحص الأرضَ بجواره، ومالَ إليهِ وهمس:

- أُريدُ أنْ أختفي قليلًا كادَ رأسي أنْ ينفجر، أحتاجُ إلى جرعةٍ من النيكوتين، لم أُدّخن سوى لُفافة تبغٍ واحدة مُنذُ استيقاظنا وإلى الآن.

ضحكَ (بدر) على ما قال، واقتربَ منهُ أكثر وأضاف:

- احذر صديقي، فمُساعد الدكتور ليسَ بالشخصِ الهيّن، وكذا المدعوّة بالدكتورة (لبنى)، الأفضل لكَ أنْ تحتاطَ منهما، ولكنْ لا تقلق سوفَ أُساعدك، اتبعني.

قالها وتحرّكَ في هدوءٍ وهو ينظر للأرضِ دونَ أنْ يرفعَ رأسه، وكأنَّهُ يتبع خيطًا مُهمًّا أو أثرًا لا يُريدُ أنْ يفقدهُ

وتبعهُ (راتب) فاعِلًا كما يفعل هو، وهكذا حتّى ابتعدا

عن باقي أفراد البعثة مسافة كافية، فتوارى (بدر) مُسرعًا خلف إحدى الصخور الضخمة وهو يجذب (راتب) ليُخفيهِ معهُ.. وبالفعلِ نجحتْ الخُطّة ولم يشعر أحد بتغيّبهما.

أسرعَ (راتب) وأخرجَ لُفافة تبغ وأشعلها، وكادَ أنْ يلوكها بينَ أسنانهِ من شِدّةِ شوقهِ وحاجتهِ للنيكوتين.

جلسَ (بدر) مُوليًا ظهرهِ لتلكَ الصخرة التي يتوارى خلفها، وسرحَ مُفكّرًا في أمرِ هذهِ البعثة، وكُلّ كلمة ذكرها الدكتور (وهدان) وحديثهِ عن البرديّةِ والمعبد و(إيمونت).

توقفَ عندها، وتذكّرَ ذلكَ الحُلم الغريب حينما غفا أسفلَ تلكَ الشجرة بجوارِ النيل، قفزتْ ملامحها إلى عقلهِ حتّى أنَّهُ قد تذكّرَ أدّق تفاصيلها.

كانَ قد شردَ في أفكارهِ ولم يَنتبه إلَّا على مَشهدِ (راتب) وهو يُلقي بلُفافةِ التبغِ بعيدًا، ولكنَّهُ حذَّرهُ بصوتٍ مكتومٍ ناهيًا إيَّاهُ عن فعلِ هذا، ونهضَ من خلفِ الصخرة بهدوءٍ حتّى وصلَ لمكانِ الجُزء المُتبّقي من لُفافةِ التبغ، وأمسكهُ بيدهِ وضغطَ عليهِ بينَ أصابعهِ بعدَ أنْ قام ببلّهِ بلُعابه، وضعهُ في جيبِ بنطالهِ بعدَ أنْ تأكدَ من انطفائها، وعادَ مرّةً أُخرى وجلسَ بجوارِ (راتب) وهو يزجُره:

- هل نسيتَ التعليمات وما تعلّمناهُ طِيلة السنوات الماضية، سواء في الدراسة أو أثناء التدريب أو البعثات التي شاركنا فيها، لا تُفسد أبدًا مكان البحث، وبواقي لُفافات التبغ هذهِ تُفسد عمل

المُستكشف، وكذا رّجال المعامل الجنائيّة في موقعِ الجرائم، لا تفعل هذا مرّةً أُخرى أبدًا.

امتقعَ وجه (راتب)؛ إذ كانَ يعلم أنَّ ما فعلهُ يُعَدُّ خطًأ جسيمًا في مجالِ اختصاصهما، لهذا صمتَ تمامًا ولم يفتح فاهُ حتّى أشارَ لهُ (بدر) بالتحرُّكِ معهُ ليعودا إلى باقي أفراد البعثة، كي لا يشعر أحد بعدمِ وجودهما.

وبالفعلِ نهضَ من مكانهِ ولكنْ قبلَ أنْ يتحرّكَ أمسكتْ يدٌ بقدمه، التفتَ مذعورًا ليرى يد مَن هذهِ، فإذ بهِ (بدر) يُمسك بهِ ويمنعهُ من الحركة، ويُشير لهُ أنْ يجلس مرّةً أُخرى خلف الصخرة التي تحميهما.

فانحنى بسرعةٍ وهو يتساءل هامسًا:

- ماذا هُناك؟

أشارَ لهُ (بدر) بأنْ يصمت بعدَ أنْ وضعَ إصبع السبّابة على فمهِ، وأمرهُ بالنظرِ إلى مكانٍ أسفل الصخرة التي يختبئانِ خلفها، انحنى (راتب) أكثر ليجلس أرضًا بجوارِ (بدر) حتّى أصبحا يفترشانِ الأرض الرمليّة.

أخرجَ (بدر) الفرشاة من حزام خصره، وشرعَ في تنظيفِ جزء حجري بارز أسفل الصخرة بهدوءٍ حتّى ظهرَ أغلبه، وعندها فقط اتسعتْ عينا (بدر) ونظر تجاه (راتب) وجذبهُ إليهِ وقالَ هامسًا بمُنتهى الحماسِ والانفعالِ معًا:

- إنَّهُ تاج أحد الأعمدة الفرعونيّة القديمة، ويحمل رمز العَين الخاصّ بالإلهِ (آمون) يبدو أنَّنا قد عثرنا على المعبدِ

يا صديقي.

فجأة وضعَ (راتب) يدهُ على فِيهِ ليمنعهُ من التفوُّهِ ومالَ إلى أُذنهِ وهمس:

- اصمت (بدر)، اصمت، وهيّا بنا لنعودَ إليهم بسرعة،

ولا تُخبر أحدًا أبدًا بما عثرنا عليهِ، هيَّا أسرِع.

أخذَ (بدر) ينظر لهُ بذهولٍ ولا يفهم على ماذا ينوي صديقه أنْ يفعل، لكنَّ ذهولهُ لم يدومَ طويلًا فقد جذبهُ (راتب) مُسرعًا للتحرُّكِ بعيدًا عن هذا المكان، والعودة إلى البعثة مرّةً أُخرى على الجهةِ المُقابلة.

وبسرعةٍ انضما إلى باقي أعضاء الفريق ولم يشعر أحد بغيابهما، واستكملا عملهما وكأنَّ شيئًا لم يَحدُث.

مرّتْ ساعات النّهار وبمُجرّدِ أنْ بدأت الشَّمس في المغيب، قامَ (زياد) مُساعد الدكتور (وهدان) بتوقيف العمل، وأمرَ (فرج) المُساعد الخاصّ بالدكتورة (لبنى) أنْ يجمع العُمّال

والأدوات ويقوم بمُراجعةِ كُلّ الأغراض التي أتوا بها قبلَ أنْ تغرب الشَّمس فيُصبح الأمر مُستحيلًا، وبالفعلِ تجمَّعَ الجميع في دائرةٍ وأخذَ العُمّال في مُراجعةِ جميع الأدوات

والأغراض، تحرّكَ الجميع في أعقابِ (زياد) والدكتورة (لبنى) ومُساعدها (فرج) نحوَ المُخيّمِ بعدَ أنْ تأكدوا أنَّ كُلّ شيءٍ على ما يُرام.

مَضتْ نصف ساعة وكانَ الجميع في خيامهم، ومن حُسنِ حظّ (راتب) و(بدر) أنَّهما في خيمةٍ واحدة بمُفردهما

لا يُشاركهما فيها أحد، وبمُجرّدِ دخولهما إلى الخيمة حتّى أغلقَ (راتب) باب الخيمة بالسَّحابِ الخاصّ بهِ، والتفتَ إلى (بدر) وقال:

- أعلمُ يا صديقي أنَّكَ غير قادر على استيعاب ما فعلت، ولكنْ أنصِت إليَّ جيّدًا.

ازدرد (بدر) لُعابهُ وهمس:

- أخبرني الآن، لماذا فعلتَ هذا؟

وما الذي تنتوي فِعله؟

جلسَ (راتب) على طرفِ الفِراش الخاصّ بهِ، وقالَ وهو يعقد يديهِ خلف رأسهِ وينظر إلى سقفِ الخيمة:

- فعلتُ الأمر الصحيح.

وتابعَ بهدوء:

- إلى متى سوفَ نظلّ تابعين للدكتور (وهدان) وأمثاله؟

تخيّل لو عثرنا نَحنُ فقط على ذلكَ المعبد؟

هل تتخيّل حجم الثروة التي سوفَ نعثر عليها في أكبرِ معبدٍ للإلهِ (آمون)؟

هل لكَ أنْ تتخيّل؟

سوفَ نُصبح من الأثرياء في ظرفِ أيَّامٍ قليلة يا صديقي.

قالها وارتسمتْ ابتسامة واسعة على وجهه، وعلى النقيضِ كانتْ ملامح (بدر) الذي اتسعتْ عيناهُ في ذهولٍ غير مُصدّقٍ ما يسمعهُ من صديقِ عمره!

لكنَّ ذهولهُ لم يدُم طويلًا بل تغيّرت ملامحهِ إلى الغضب وصرخَ في (راتب) قائلًا:

- ما هذا الذي تقول؟

هل نُصبحُ لصوصًا في نهاية الأمر؟

بالطبعِ لا يا صديقي، فأنا لا أقبل أنْ أكونَ لصًّا أبدًا لتاريخِ وآثار بلدي، سوفَ أخرج حالًا وأُخبر الدكتور (وهدان)

بما حدثَ وما عثرنا عليهِ.

قالها واستدارَ ليُغادرَ الخيمة، لكنَّ (راتب) قفز من الفِراشِ بغتة وأمسكهُ من ساعدهِ؛ ليمنعهُ من الخروجِ وهو يقول

في ذُعرٍ:

- انتظر يا مجنون.. انتظر.

حسنًا، لن نسرقَ شيئًا، ولكنْ على الأقلِ ينسب الاكتشاف لنا، أليسَ هذا من العدل؟

ألم نكتشف نَحنُ ذلكَ العامود، بالتالي ليسَ من العدلِ أنْ يخرج ذلكَ المأفون إلى وسائل الإعلام، ليُدلي بأحاديثٍ صحفيّة عن مدى المشّقة التي مرَّ بها، و الأهوال التي قابلتهُ حتّى استطاعَ أنْ يصلَ إلى ذلكَ الاكتشاف.

كانَ لهذهِ الكلمات أثر كبير على (بدر) فصمتَ تمامًا وتغيّرت ملامحهُ من الغضبِ إلى الهدوء، فتابعَ (راتب):

- على الأقلِ نحصل على التقدير الأدبي والمعنوي.

لانتْ ملامح (بدر) تمامًا بعدَ هذهِ الجُملة، وصمتَ لفترة وأخيرًا همسَ بهدوء:

- معكَ حقٌّ يا صديقي.. معكَ كُلّ الحقّ.

الفصل الثامن

- هيّا بنا.

نطقها (راتب) وهو ينظر من بينِ خصاص الخيمة ليُتابِعَ الطريق والمكان المُحيط بالخيمة وهو يُشير لبدر باتباعه، كانتْ الساعة قد تخطّتْ مُنتصف الليلِ بقليل، والجميع

في الخيام الخاصّة بهم عدا المُختصّينَ بالحراسة الليلة للمُعسكر.

انسلَّ (بدر) و(راتب) وقد استغلّا الظلام والهدوء، وبعد أنْ أدركَ الأخير أنَّ نوبة الحراسة مُتجمّعة حولَ النيران المُشتعلة، خرجا وقد تسترا بالظلام ، وتحرّكا بهدوءٍ من بينِ الخيامِ حتّى وصلا للحبالِ المُحيطة بالمُعسكرِ وتجاوزاها، وأكملا سيرهما بينَ الأشجارِ والصخور.

كانا يتهادانِ للطريقِ على كشَّافِ هاتف (بدر)، وسارا لمدة ساعة كاملة تقريبًا بسبب الظلام، حتّى وصلا إلى مكانِ الصخرة التي اختفيا خلفها صباحًا.

وبمُجرّدِ أنْ وصلا إليها انحنيا أرضًا وشرعا في الحفرِ حولَ ذلكَ التاج الخاصّ بعمودِ المعبد، كانتْ الأرض حولهما رمليّة بالكاملِ مع بعضِ الصخور الصغيرة؛ ممّا ساهَمَ في سهولةِ الحفرِ والتنقيب، ولم تمرّ فترة طويلة حتّى ظهرَ تاج العمود بالكامل، أخذَ (بدر) يقرأ النقوش

وهو يوجه كشَّاف هاتفه إليها، وفجاة اتسعتْ عيناهُ وشهقَ في انبهار، ونظرَ لراتب وهمسَ قائلًا:

- لن تُصدّق.. هذا التاج خاصّ بأحد أعمدة غُرفة حفظ القرابين والنذور.

اتسعتْ عينا (راتب) بدورهِ وصرخ:

- أجل، هذا يؤكد أنَّ الموقع صحيح ١٠٠٪،

فمن المُستحيلِ أنْ ينقل تاج من هذهِ التيجان إلى موقعٍ آخر، وخاصّةً أنَّهُ من التيجان الخاصّة بالغُرفِ المحميّة.

أنهى كلامهُ وشرع يرقص ويقفز فرحًا، ممّا جعل (بدر) يسقط من الضحكِ أرضًا، واستمرا على هذا الوضع عِدّة دقائق، وأخيرًا هبط (راتب) مرّة أُخرى أرضًا بجوارِ (بدر) وقال:

- هيّا يجب أنْ لا نُضيّعَ أيّ دقيقة واحدة.

أمسكَ المعول الصغير مرّة أُخرى وشرعَ في الحفرِ أكثر حولَ تاج العمود الذي عثرا عليهِ فحذا (بدر) حذوه.

لم يتوقفا لمدة قد تجاوزت الساعة تقريبًا، مع الإمكانيّات البسيطة والمُعدّات الصغيرة، إلَّا أنَّ نصف العمود ظهرَ أسفل الرمال، وبدا شيء آخر مُستوي في الظهور، أدركَ (بدر) كنههِ بسرعة، كانَ سقف العليقة الخاصّة بالغُرفةِ التي كانَ العمود أحد أركانها، وقد صُنِعَتْ تلكَ العليقة من ألواحِ أخشابٍ عرضيّة، يكسوها أفرُع من الخوصِ

المربوط بحبالٍ ليفيّة جيّدًا ومُغطى بطبقةٍ من الراتنج والقار، وأخيرًا طبقة من الملاط الذي كانَ يصنعهُ المصري القديم ببراعة.

كانَ (بدر) صاحب خِبرة كبيرة في التعامُلِ مع مثل

هذهِ الأمور، وبالفعلِ قد أشارَ لراتب أنْ يتوقف، وأخرجَ من حقيبةِ مُعدّاتهِ الصغيرة مِطرقة صغيرة وسكين خاصّ بقطعِ الألياف، وقامَ برسمِ مُربعٍ بطرفِ السكين في طبقةِ القار

والراتنج بينَ الفراغ المُتواجد بينَ لوحينِ من الأخشابِ؛ كي يكونَ الأمر سهلًا في فتحِ فُتحة كافية لعبورهما دونَ أنْ يؤثر على سلامة السقف والألواح الخشبيّة، وأخذَ بهدوءٍ وخِفّة يطرق طُرقات خفيفة في أماكنٍ مُحدّدة حتّى

نجحَ بالفعلِ في نزعِ جزءٍ كاملٍ من الطبقة التي

تكسو الألواح والفواصل بينها.

كانتْ المسافة بينَ اللوحينِ ضيقة لا تسمح بمرورِ جسدهِ

أو جسد (راتب) بسهولة، ممّا جعلهُ يشرع هو والأخير

في اقتطاع جزء طولي من اِحدى اللوحين.

عملٌ شّاق ومجهود مُضني على فردينِ فقط، لكنَّهما قد نجحا في عملِ فُتحة تكفي لعبورِ جسديهما منها دونَ أيّة مُشكلة.

مدَّ (راتب) يدهُ بهاتفهِ المحمول وهو يُشعل الكشَّاف بهِ ليرى الغُرفة من الداخل، كانتْ غُرفة رحبة، والسقف على ارتفاعِ أربعةِ أمتارٍ تقريبًا، وشاهدَ مُتعلّقات كثيرة بالأسفل، لكنَّهُ لم يستطع أنْ يتبيّنها

في الظلام، كما كانتْ النقوش المُلّونة تُغطي الجُدران بالكامل، ودرجات ألوانها تكشف أنَّها لم تتعرّض لأيّ عوامل خارجيّة تقريبًا، أو عوامل تعرية،

أو أيّ عبث من أيدي اللصوص أو المُستكشفين من قبل.

وبعدها ارتمى (راتب) أرضًا مُستلقيًا على ظهره، ليرتاحَ من المجهود الشّاق الذي بذلهُ هو و(بدر) وارتمى الأخير أيضًا بجواره، كانا ينظرانِ إلى السماءِ بنجومها المُتلألئة في مَشهدٍ غريب، فلو تمَّ التقاطهِ من أعلى، لكنتَ تُشاهد شابينِ في مُقتبلِ العُمر استلقيا على الرمالِ وبجوارهما جزء بارز من عمود فرعوني أثري، وحُفرة عميقة تكفي لعبورِ جسديهما إليها، ينظرانِ بهدوءٍ إلى السماءِ دونَ أيّ اكتراث، وكأنَّهُ لا عَلاقةَ لهُما بأعظمِ اكتشافٍ عرفتهُ البعثات الأثريّة بعد (هوارد كارتر) واكتشافهِ لمقبرةِ الملك الذهبي (توت عنخ آمون) تقريبًا.

- هل تعتقد أنَّنا قد صرنا من الأثرياءِ حقًّا أم ليسَ بعد؟

نطقها (راتب) وهو ينظر للسماء ويبتسم.

ضحكَ (بدر) وأدارَ رأسهُ تجاهه وقال:

- لا يوجد في راسكَ إلَّا الأموال فقط، انتظر يا صديقي واترك الامر لمَن بيدهِ الأمر، فهو يرزقُ مَن يشاء بما يستحقّ.

- ونعمَ باللّه، معكَ حقّ.

قالها (راتب) هامسًا، وظلّا مُستلقيانِ بعدها صامتينِ، كُلٍّ منهما يدور شريط سينمائي برأسهِ بينَ تخيُّلٍ لِمَا سيكون بالأسفلِ وبينَ حياتهِ بعدَ ذلك.

خرجا من دارِ العرض التي تدور برأسيهما على صوتِ اِنذارٍ قادم من اتجاهِ المُعسكر الخاصّ بهما.

انتفضَ الاثنانِ معًا ونظرَ كلاهُما للآخر، وصرخَ (راتب)

في توتر:

- هل تعتقد أنَّهم قد اكتشفوا غيابنا أو ما نفعل أو على ما عثرنا؟

- لا.. لا أعتقد.

قالها (بدر) وملامحه غارقة في تفكيرٍ عميقٍ وتابع:

- أعتقد أنَّ نوبة الحراسة اكتشفتْ حيوان قد تسللَ إلى أرضِ المُعسكر، ولكنْ دعنا نُغلق هذهِ الفُتحة جيّدًا ونقوم بإهالةِ الرمال على العمودِ مرّةً أُخرى، يجب أنْ نُعيدَ كُلّ شيءٍ إلى أصله، كي لا يكتشف أحد غيرنا هذا المكان، حتّى نُكملَ ما بدأناهُ مساء الغد.

قالها وشرعا في العمل، فقد وضعا صخرة متوسطة لإغلاقِ الفُتحة وقاما معًا بإهالةِ الرمال على العمود حتّى نجحا في اِخفائهِ تمامًا وكذا الثُقب أيضًا، ولكنْ بطريقةٍ تُسّهل عليهما اِزاحة كُلّ هذا من على الفُتحة دونَ عناءٍ أو مجهود، ولكنْ من غيرِ أنْ تكونَ مكشوفة للعين، وبمُجرّدِ أنْ انتهيا نظرَ (بدر) في ساعةِ يدهِ وأدركَ أنَّ الفجر على وشكِ البزوغ، فأشارَ إلى (راتب) وتحرّكا بسرعةٍ مُنتهزينِ ما تبَّقى من

غطاءِ الظلام قبلَ أنْ تتخلّلهُ أضواء الفجر، ويتم اكتشاف تغيّبهما فأسرعَ الاثنانِ الخُطى بينَ الصخورِ في اتجاهِ المُعسكر، وبالفعلِ وصلا إلى أحد الأسوار المصنوعة من الحبال وتجاوزاها بهدوءٍ بعيدًا عن أعيُنٍ نوبة الحراسة.

انسلّا إلى خيمتهما في خِفّةِ قطٍّ رشيق، وأغلقا الخيمة خلفهما وانتظرا مدة كافية ثُمَّ خرجا معًا لاستكشافِ الأمر وسبب اطلاق الإنذار وكأنَّهما كانا نائمين.

كانَ باقي أفراد المُعسكر مُتجمّعينَ في دائرةٍ حولَ أحد الحُرّاس، والذي كان ينتفض في رُعبٍ ويُحاول زملاؤهُ تهدئتهِ ولكنَّهُ كانَ يرتعش ويهزي بكلماتٍ غير واضحة، وفجأة فجأة نظرَ تجاه (بدر) و(راتب) وقد اتسعتْ عيناهُ وصرخ:

- لقد رأيتها.. نعم رأيتها!

وأشارَ تجاه المكان الذي عثرا فيهِ على المعبدِ وتابع:

- لقد خرجتْ وأتتْ ونظرتْ إليَّ بثوبها الأحمر البرّاق وتاجها الذهبي، واقتربتْ منّي وصرختْ فيَّ بغتة وقالتْ:

- لقد خرجتْ اللعنة، لقد خرجتْ، وبكتْ بهستريا، واختفتْ فجأة!

عادَ ونظرَ تجاه الاثنين مرّةً أُخرى وكأنَّهُ يوجه حديثه إليهما وقال:

- لقد خرجتْ اللعنة.. الويل كُلّ الويل لنا.

نظرَ (بدر) إلى (راتب) في ذهولٍ وبادلهُ الأخير نفس النظرات، وعمَّ الصمت مع بزوغ أوّل خيوط الفجر.

الفصل التاسع

تحرّكَ ذلكَ الشبح المُلتحِف بالسوادِ فأصبحَ من الصعبِ أنْ يتبيّنَ أحد مَن هو، أو أيّ تفصيلة منهُ في الظلامِ الحالك، كانَ يسير بينَ المنازل الطينيّة الصغيرة المُنتشرة في المنطقة الخاصّة بعُمّالِ البناء الذّينَ يعملون في إنشاء المقبرة الملكيّة للملك (ني فر كا رع) الثامن، أمام كُلّ منزل يضع جرّة طينيّة صغيرة مليئة بالقمحِ والشعير، يُحاول أنْ لا يشعُر بهِ أحد.

يصدر الأنين من كُلّ منزلٍ يمرّ من أمامه، أنين الجوع

أو الفقد، لم يَعُد في برّ مصر كُلّها منزل لا يوجد بهِ فقيد

أو جائع!

أضحى الوضع سيئًا للغاية، تمُرّ البلاد بفترةٍ عصيبة بدأت بعدَ انخفاض درجات الحرارة وموجة الصقيع التي ضربت البلاد بعد نهاية حُكم الملك (بيبى) الثاني، الذي تولّى الحكم لمدة ستة وتسعين عامًا؛ إذ تولّى مقاليد الحكم وهو ابن الستة أعوام!

مُنذُ تلكَ الحِقبة تدهورت الزراعة ومعها الضرائب المفروضة.

ليبدأ عصر الاضمحلال الأوّل من نهاية الأُسرة السادسة وحتّى نهاية الدولة القديمة بملوكها العظام؛ إذ أنَّهُ وفي ختامِ الأُسرة السادسة اختفتْ مصر عن الأعيُن فجأة، وصارت في ظُلمةٍ وكأنَّ مصيبة عُظمى قد نزلت بها!

حلَّ البؤس بالبلاد من سرقةٍ وقتلٍ وتخريبٍ وقحط، وتفككتْ الإدارة ثُمَّ قُضيَ على التجارةِ الخارجيّة، وحَدَثَ غزو الأجانب وتولية الغوغاء مراكز الطبقات العُليا، فيذكر الحكيم أنَّ أهل الصحراء قد حلّوا محلّ المصريين في كُلِّ مكان، وأصبحتْ البلاد مَلْأَى بالعصاباتِ حتّى أنَّ الرَجُلَ كان يذهب ليحرث أرضه ومعهُ درعه.

شحبتْ الوجوه، وكَثُرَ عدد المُجرمين ولم يَعُد هُناكَ رجال محترمون، وفقدَ النَّاس الثقة في الأمن، وعلى الرغم من فيضان النيل فقد أحجمَ الفلاحون عن الذهابِ لفلاحة أرضهم خشية اللصوص وقُطّاع الطُرُق.

صارتْ النساء عواقر ولم يَعُد هُناكَ حمل؛ حيثُ إعراض خنوم عن هذا العمل غير المُجدي.

وأصبحَ المعوزين يمتلكون أشياء جميلة، بينما نجد

الأشراف في حُزنٍ فلا يُشاطرون أهليهم أفراحهم، وقد أضحتْ القلوب ثائرة، والوباء انبعثَ في كُلِّ الأرض، والدّم أُريقَ في كُلِّ مكان، وكَثُرَ عدد الموتى حتّى استحالَ دفن الجُثث؛ لذا كانوا يُلقونها في الماءِ كالماشية النافقة، وأصبحَ أصحاب الأصل الرفيع مُفعمينَ بالحُزنِ بينما زِيدَ الفُقراء سرورًا، وكُلّ بلدة تُنادي قائلة: فليقص أصحاب الجاه عنّا!

صارتْ الأرض تدور كَعجلةِ الفخّار، فأصبحَ اللصّ صاحب ثروة، وتحوّل النهر إلى دِّماء عافتها النفوس، ودُّمرت البلاد وصارَ الوجه القبلي صحراء جرداء، وأُصيبتْ التماسيح

بالتخمة بما قد سلبت، وانتشرَ حفّارو المقابر في كُلِّ مكان؛ بسبّبِ كثرة الموتى.

خُربتْ البيوت وأصبحَ المصريون لا يرونَ الآن.. وصارَ الذهب واللازورد

والفضّة والياقوت حليةً للجواري، بينما تمشي السيّدات النبيلات في طولِ البلاد يَقُلن: ليتَ لدينا بعض الشيء لنأكل!

كما صارتْ أعضاءهنّ في حالةٍ يُرثى لها لمَا عليها من خرقٍ

بالية، وقلوبهنَّ تنفطر حُزنًا عندما يُشاهدون أنفسهنَّ على هذهِ الحالة.

أصبحَ مُهندسو السُفن الملكيّة يعملونَ كعُمّالٍ عاديّين، وحُرِمَ النّاسِ من الذهابِ إلى (ببلوص) _جبيل لبنان_ لإحضار خشب الأرز لأجلِ المومياوات، كما أصبحتْ المُدن لا تؤدي الضرائب بسبب القلائل، وأضحتْ الخزينة من غيرِ دخل، وقُضيَ على الضحك فلم يَعُد يُسمع، بينما أخذَ الحُزن يمشي في طولِ البلاد وعرضها ممزوجًا بالأسى.

كَرِهَ النّاس الحياة حتّى أصبحَ كُلّ واحد منهم يقول:

ياليتني مِتّ قبلَ هذا!

أمَّا الأطفال الصغار فيقولون: كانَ يجب عليهِ ألَّا يجعلنا على قيد الحياة!

وأولاد الأمُراء يُضرب بِهم عرض الحائط، والأطفال حديثي الولادة يُلقونَ على قارعة الطريق!

وقد انتزعتْ مومياوات عِلية القوم من مقابرهم وأُلقيتْ في الطريقِ العام، وأصبحَ سرّ التحنيط جهرًا وأُلقيَ المواطنون على أحجارِ الطواحين.

كما أصبحَ الذّينَ ا يرتدون الكِتّان الجميل يُجلدون، واضطرت سيّدات الطبقة الراقية _اللائي سَكَنَّ في البيوتِ_ إلى العملِ الشّاق في حرارة الشَّمس، أمَّا اللائي كُنَّ يَنَمنَ على أسرَّةِ أزواجهنَّ أصبحنَ يَنَمنَ على مضاجعٍ مقضّة، وصارت السيّدات مثل الجواري، وتحوّلت أغاني العازفينَ

لأناشيد حُزن.

أصبحَ الرَجُل الأحمق يشكّ في وجودِ الإله فيقول: إنْ عرفتُ أينَ يوجد الإله.. قدّمتُ لهُ قربانًا!

وأصبحت الماشية والقطعان تندب بسبب حالة البلاد،

والرجل يقتل أخاهُ من أُمّهِ، والطُرُق شائكة؛ إذ اللصوص يكمنونَ في الحشاش، ليسلبوا من المُسافر في ظلامِ الليل حمله، ويسرقوا ما عليهِ ثُمَّ يضربونهُ بالعُصيّ حتّى يُقطع نفسه ويُذبح ظُلمًا.

كان الشبح المُتسربل بالسوادِ قد انتهى من عملهِ بعدَ أنْ مرَّ على كُلّ المنازل، فتحرّكَ مُبتعدًا في اتجاهِ الصحراء القريبة، وبعدَ مسافةٍ ليستْ بالقصيرة، اقتربَ من إحدى الصخور الكبيرة وجلسَ أسفلها،

ومدَّ يدهُ وخلعَ القلنسوة التي تُخفى وجهه وملامحه، ليظهرَ من أسفلها وجه (إيمونت) بجمالهِ

الأخّاذ لكنَّ الدمعَ يُغرّقه، دمع قِلّة الحيلة والضعف، كانتْ ترى الموت في كُلِّ مكان، لكنَّها لا تستطيع فِعل شيء.

أخذتْ تزيد من صلواتها إلى (آمون) لعلّهُ يستجيب لها ويرفع عن شعبهِ المُعاناة، ولكنْ دونَ جدوى، بل إنَّ المرّات القليلة التي خاطبها فيها بذاتهِ الإلهيّة لم يُجيب سؤل قلبها، حتّى أنَّها قد بدأت تفقد إيمانها بكونهِ إلهًا رحيمًا عفوًّا كريمًا، لا تفهم السرّ وراء ما يفعلهُ بشعبهِ.

كانتْ تُفكّر في الأمر وما آلتْ إليهِ الأمور، ولا تجد حلّ، فقرّرتْ أنْ تُساعدَ كُلّ مُحتاج، لن تتخلّى عن آدميتها، وشرعتْ في توزيعِ كُلّ ما يتوافر من قرابين وتقديمات على الفُقراء والمعوزين.

كانتْ قد اتخذت قرارها بعدمِ التخلّي والخنوع كما

فعلَ إلاهها.

مرَّ كُلّ هذا وهي تخلع عنها ملابسها السوداء؛ ليظهر أسفلها زيّها الأحمر البرّاق الخاصّ بكبيرةِ كهنة (آمون)، واتخذت طريقها إلى المعبد ومن داخلها قد عقدت العزم على

أنْ لا تتوقف أبدًا عن مُساعدةِ الفُقراء.. مهما حدث.

الفصل العاشر

- هل تُصدّق ما رآهُ العامل؟

نطقها (راتب) قاطعًا الصمت المقبض الذي رانَ على الخيمة الخاصّة بهما، بعد أنْ عادا إليها كما انصرف الجميع إلى خيامهم.

خيَّمَ الصمت مرّةً أُخرى عليهما، وأخيرًا نطق (بدر):

- لا أعلمُ يا صديقي، لا أعلمُ حقيقةً

ولكنَّ المُصادفة غريبة جدًّا في هذا التوقيت.

أعتقد أنَّ ما رآهُ كانَ تقريبًا في نفسِ وقت صُنع الفُتحة

في عليقة غُرفة القرابين.

وصمتَ قليلًا مُفكّرًا وتابعَ وهو مُنشغل الذهن:

- الغريب في الأمرِ حقًّا أنَّ وصفهُ للأُنثى التي ظهرتْ لهُ هو نفس الوصف الذي أخبرنا بهِ دكتور (وهدان) من قبل،

و .....

ظهر الاهتمام على وجهِ (راتب) واعتدلَ على طرفِ الفِراش وهو ينظر تجاه (بدر) وقالَ في توتر:

- تحدَّث، ماذا هُناك؟

نظرَ لهُ (بدر) طويلًا وأجابهُ وهو مُستغرق في تفكيرٍ عميق:

- لا شيء.. لا شيء.

ظهرَ القلق والتوتر على ملامح (راتب)، فهو يعرف صديقهُ جيّدًا وأدركَ أنَّ هُناكَ أمرًا ما، فهبطَ من فِراشهِ وجلسَ بجوار (بدر) على فِراشِ الأخير ووضعَ يدهُ على كتفهِ وقال:

- أخبرني يا صديقي، ماذا حدث؟

تنَّهدَ (بدر) وقال:

- هل تذكر حينما غفيت أسفلَ تلكَ الشجرة بجوارِ الفندق، واستيقظت وقد أخبرتني أنَّني كُنتُ أبتسم أثناء غفوتي.

تراجعَ (راتب) في دهشة، وحَكَّ رأسهُ مُفكّرًا:

- أجل أذكُر، ولكنْ ما عَلاقة أحلامك بما حدث؟

هزَّ (بدر) رأسهُ في يأسٍ من غباءِ صديقهِ وتابعَ وهو يكاد أنْ يسبّه:

- أكثر ما تملك في هذهِ البطيخة التي تحملها فوقَ كتفيكَ هو الغباء.

لقد كنتُ أحلمُ بها، بكُلّ تفاصيلها كما وصفها ذلكَ العامل

بالضبط، بل يُمكنُني أنْ أصِف لكَ ثنايا جسدها وتفاصيل

ملابسها أيضًا، لم يَكُن حُلمًا يا صديقي، ولكنْ كُنتُ أشعر أنَّهُ حقيقة أعيشها.

أنهى حديثهُ وصمتَ الاثنان حتّى قطعَ (راتب) هذا الصمت:

-إذًا هي فتاةٌ حقيقيّة، وأنتَ رأيتها والعامل قد رآها بنفسِ التفاصيل والملابس التي ذكرها الدكتور (وهدان) بُناءً على تلكَ البرديّة الغريبة.

حسنًا.

ماذا يعني كُلّ هذا؟

كانَ (بدر) يستمع لهُ وهو صامت، لا يجد ما يقوله، فالأمر غريب حقًّا.

قطعَ حديثهما صوت النفير الخاصّ بالاستيقاظ، فقد حانَ الموعد للاستيقاظ والتجمُّع، لتناول وجبة الإفطار، والتحرُّك لاستكمال التنقيب والبحث.

خرجَ الاثنان من الخيمة الخاصّة بهما وكان من الواضحِ عليهما الإرهاق والتعب، إذ أنَّهما لم يحصُلا على أيّ قسطٍ من النوم مُنذُ صباحِ أمس، فقد واصلا النّهار بالليل كي يستكشفا المكان، ولم يناما أيضًا بسببِ ما حدثَ وما رآهُ العامل.

وصلا إلى الخيمة المُعدّة لتجمع أفراد البعثة لتناول

طعام الإفطار، تواجدَ الجميع عدا العامل صاحب واقعة أمس، عَلِمَ الاثنانِ أنَّ الدكتور (وهدان) أمرَ بإعطائهِ اليوم راحة، ليسَ هذا فحسب؛ بل وأرسلَ اِحدى السيّارات لتعودَ بهِ إلى الفندق ليرتاح باقي اليوم هُناك.

ظهرَ جلّيًا غرض الدكتور (وهدان) ليسَ راحة العامل بل أنْ لا يسمحَ ببّثِ الرُعب بينَ أفراد البعثة، وعدم السماح بانتشار الأقاويل أو أنْ يُكرر العامل ما قالهُ بالأمس،

وعلى الأغلبِ أنَّهُ سوفَ يستبدلهُ بآخر، جالَ هذا الخاطر بعقلِ (بدر) وأغلب أعضاء البعثة الاستكشافيّة، وخاصّةً مَن هُم مع

الدكتور (وهدان) مُنذُ فترة طويلة ويعلمون طريقة تفكيره وتعامله، فهو من الشخصيات التي لا تسمح أبدًا لأيّ أحدٍ أو أو أيّ ظرفٍ أنْ يُعطلَ عمله أو يتسبب في خسارة ماديّة أو أدبيّة لهُ.

تناولا الاثنانِ إفطارهما سريعًا وخرجا إلى الباحة الخارجيّة كي يتمكنا من الحديثِ ويُشعل (راتب) إحدى لُفافات التبغ قبلَ أنْ تتحرّك المجموعة إلى موقعِ البحث والتنقيب .

- ماذا سنفعل؟

قالها راتب وهو ينفث دُخان لُفافة التبغ الثانية على التوالي، فأجابهُ (بدر):

- لا شيء الآن، سوفَ نتحرّك مع البعثة دونَ أنْ نُثير الشُبهات ونستكمل باقي اليوم في الأعمال المُعتادة، ونُحاول أنْ لا نلفت الأنظار إلى الموقع الذي عثرنا عليه، حتّى يأتي المساء ونعود إليهِ مرّةً أُخرى.

كانا يتحدّثانِ حينما ظهرَ (زياد) ومعهُ الدكتورة (لبنى) تجرّ في أذيالها مُساعدها (فرج)، وما أنْ شاهدوهم معًا حتّى نظرَ (زياد) لهما نظرة امتعاض، وقالَ مُوجهًا حديثهِ لهما:

- هيّا بنا سوفَ نتحرّك الآن.

وأشارَ بطرفِ يدهِ إلى (راتب) وقال:

- وأنتَ آخر تحذير لك، غير مسموح بالتدخين في أماكن الاستكشافات والبعثات الكشفيّة.

ألقى (راتب) لُفافة التبغ من يدهِ وقامَ بدهسها بقدمهِ دونَ أنْ ينطق بكلمة، وتحرّكا مع باقي أعضاء مجموعتهما.

تحرّكتْ المجموعة يتذيلها (راتب) و(بدر)، وما أنْ وصلا إلى موقع العمل حتّى أخرجَ كُلًّا منهما الحزام الخاصّ بمُعدّاتهِ وقامَ بربطهِ حولَ خصره، وأمسكا أدواتهما وشرعا في العمل.

قد بلغَ التعب مداهُ معهما، ولكنْ مع انخراطهما في العمل نسيا الأمر تمامًا.

كانَ (راتب) يعمل أسفل اِحدى الصخور الكبيرة، وفجأة عثرَ على جزء من تاج عمود ضخم، بعدَ أنْ أزاحَ صخرة متوسطة الحجم نسبيًّا كانتْ مدفونة أسفل كمية من الرمال، شعر بالتوتر ولم يَكُن يعلم ماذا يفعل، فأمسكَ بحصى صغيرة وألقاها تجاه صديقه (بدر) ليجذبَ انتباهه دونَ أنْ يشعرَ باقي أفراد البعثة، وبالفعلِ شعرَ (بدر) بالحصى تصطدم بقدمهِ وهو مُنحي أرضًا، فنظرَ تجاه (راتب) فوجدهُ يُشير لهُ أنْ يأتي ولكنْ بهدوءٍ كي لا يلفت الأنظار.

تحرّكَ (بدر) وكأنَّهُ يفحص المنطقة واقتربَ من (راتب)، شرحَ لهُ الأخير وأراهُ ما وجد، انحنى (بدر) يفحص تاج العمود، ومالَ إلى أُذنِ (راتب) وهمس:

- هذا تاج ضخم، والواضح من النقوش الظاهرة حتّى الآن أنَّهُ تاج عمود المدخل الرئيسي للمعبد، وأعتقد أنَّ على مساحة خمسة أو ست أمتار في أيّ اتجاة سنجد العمود

الآخر، والذي يُشكلانِ معًا المدخل الرئيسي للمعبد، ولكنْ....

صمتَ قليلًا مُفكّرًا وفجأة لمعت عيناهُ وابتسمَ ونظرَ لراتب وقال:

- هذا من حُسنِ حظّنا يا صديقي، هل تعلم المسافة من هُنا إلى تلكَ الغُرفة التي عثرنا عليها؟

إنَّها تُقارب الأربعمائة متر تقريبًا أو أكثر قليلًا.

هل تُدرك معنى هذا؟

هزَّ (راتب) رأسهُ في إشارةٍ لعدمِ الفَهم، ظهرتْ الحسرة على وجهِ (بدر) فمطَّ شفتيهِ في آسفٍ وقال:

- حسنًا، سوفَ أشرح لك، لو عَلِمَ أفراد البعثة بما عثرنا سوفَ يأخذ منهم الأمر أسابيع قبلَ أنْ يصلوا إلى الموقع الذى عثرنا عليه.

كانتْ ملامح (راتب) ثابتة لا تتغيّر وكأنَّهُ لم يستوعِب ما يقولهُ، ممّا جعلَ (بدر) يقول في نفاذ صبر:

- يجب أنْ نُرشدهم إلى هذا المكان ولا نُخفيهِ حتّى

لا يتحرّكوا إلى موقعٍ آخرٍ ويُمكن أنْ يكونَ موقعنا هو المنشود، هل استوعبتَ الآن ما أودُّ قوله؟

سنُرشدهم إلى المدخلِ الرئيسي، وحينَ يصلوا إلى آخرِ المعبد ستمرّ فترة طويلة نسبيًّا.

هزَّ (راتب) رأسه في فَهمٍ، فزفرَ (بدر) أنفاسهُ في ارتياحٍ وأمسكَ (راتب) من يدهِ وتحرّكا بسرعةٍ تجاه

دكتورة (لبنى)، التي تجلس أسفل أحد المِظلّات برفقةِ (زياد) مُساعد الدكتور (وهدان) مستغرقينِ في حديثٍ جانبي.

اقتربا منهما وتنحنحَ (بدر) ليلفت انتباههما دونَ أنْ يتسبّبَ في مُقاطعةٍ للحديث، استدارَ لهُ (زياد) وقال:

- لماذا تركتَ موقعك؟

هل هُناكَ شيء؟

أجابهُ (بدر) وهو يبتسم:

- نعم، لقد عثرَ صديقي (راتب) على مدخل المعبد الرئيسي.

اتسعتْ عينا (زياد) والدكتورة (لبنى) وفتحتْ الأخيرة فاها في ذهول!

- ماذا تقول؟

قالها (زياد) وهو يقف مُنتفضًا من مكانه.

أجابهُ (بدر) وابتسامة ساخرة ترتسم على وجهه:

- لقد عثرَ صديقي (راتب) على أحد العمودينِ الأساسيينِ للمدخل الرئيسي.

تحرّكَ (زياد) مُسرعًا وخلفهِ الدكتورة (لبنى)، وهو يُمسكُ بيدٍ ذراع (بدر) والأُخرى ذراع (راتب) ويجذبهما طلبًا منهما أنْ يُرشداهُ إلى ذلكَ الموقع.

تحرّكَ الجميع حيثُ موقع عمل (راتب)، وانحنى (زياد) يفحص تاج العمود بعدسةٍ في يده، وكانتْ الدكتورة (لبنى) تُعاونهُ وبعدَ فترة اعتدلَ وقال:

- مَن قالَ هذا ؟

ليسَ مدخلًا ولا شيء، إنَّهُ مُجرّد تاج عمود مُلقى بينَ الرمال، قد يكون جزء مكسور من عمود ومُلقى على مسافةٍ كبيرة بعيدًا عن موقعهِ الأصلي، وخاصّةً أثناء فترة اِنتشار المسيحيّة في مصر، وتمَّ هدم أغلب المعابد الوثنيّة واستخدام أعمدتها في بناء الكنائس.

ابتسمَ (بدر) في سُخريةٍ وتقدّمَ حتّى أصبحَ يقف أمام (زياد) في تحدٍّ وقالَ في تَهكُمٍ:

- مع احترامي لرأيك، ولكنْ اسمح لي أنْ أُخبركَ بعدمِ صّحة كلامك، والدليل هو اِرتكاز هذا التاج بشكلٍ قائمٍ تمامًا تقريبًا وهو ما أكدهُ ميزان المياه، وهذا دليل على أنَّ التاج مُثبّت إلى عمودهِ نفسهِ بالكامل، ومُثبّت في الأرض بشكلٍ قائمٍ تمامًا ولم يُغادر موقعه أبدًا.

والدليل الآخر أنَّ هذا هو المدخل الرئيسي، هو حجم هذا التاج والنقش الخاصّ بأشَّعة الشَّمس الشهير، وهذا دلالة واضحة على أنَّهُ مدخل للإلهِ (رع) أو (آمون-رع).

- كلام الفتى صحيح.

أتتْ هذهِ العبارة من خلف الجميع، التفتَ الواقفونَ ليُشاهدوا مَن المتحدث، كانَ الدكتور (وهدان) شخصيًّا يقف خلفهم، وهو مَن تحدّث.

اقتربَ مُجتازًا بينهم حتّى انحنى يفحص تاج العمود واعتدلَ وتابعَ وهو ينظر إلى (بدر) مُبتسمًا وقال:

- أحسنتَ يا فتى، أحسنت.

هذا بالفعل المدخل الرئيسي، واقتربَ من (بدر) و(راتب) وربتَ على كتفيهما وقال:

- أحسنتما، سوفَ يكون لكما شأن عظيم.

قالها وبدأ يُعطي أوامرهُ للجميع، وتحوّلَ المكان إلى خلية نحل.

وقفَ (بدر) و(راتب) ونظرا في اتجاهِ بعضهما البعض بذاتِ التوقيت وضحكا.

الفصل الحادي عشر

مع غروبِ شَّمسِ هذا اليوم القاتم؛ حيثُ السّماء مُلّبدة بغيومٍ كثيفة وكأنَّها تعكس الكآبة التي تلف البلاد.

الرياح تهبّ بشدّة وكأنَّها تشتكي من حالِ مصر القديمة التي ضربها الفقر والجوع! طرُقات طِيبة كانتْ شِبه خاوية إلَّا من بعضِ الظلال المُتحرّكة التي تسيرُ بخُطواتٍ مُتعثرة تحت وطأة الجوع واليأس.

في هذهِ اللحظة العصيبة، كانَ معبد (آمون) لا يزال يُضيء بشموعهِ الأبديّة التي لا تنطفئ، شاهدًا على أزمنةِ الرخاء

والمجد داخل أسوارهِ العالية، لكنَّ الشعبَ كانَ يموت جوعًا خارج هذهِ الجدران، والأطفال يبكون، وكذا الرّجال والنساء يُمزقهم القهر واليأس تمزيقًا!

فجاة تجمَّعَ الحشود عندَ بواباتِ المعبد، وجوههم شاحبة، وعيونهم تملؤها الشرارة الوحيدة الباقية للنجاة.

كانتْ جموع الرِعاع، رجالًا ونساءً يحملونَ العُصيّ

والأدوات البسيطة، بينما قلوبهم مُشتعلة بنّارِ الجوع.

- افتحوا الأبواب.

داخل المعبد ثروات مُقدّسة من القمحِ والحبوب، التي أُعدَّتْ لتقديم القرابين للإلهِ (آمون) ولإطعام الكهنة وخُدّام المعبد، وباقي الشعب يموت جوعًا.

صرخَ أحدُهم وتَبِعهُ الباقون بهتافاتٍ تُعبّرُ عن غضبهم مُطالبينَ بحقّهم في الحياة.

كانَ الجوع قد حوّلهم من بشرٍ إلى وحوشٍ لا تعرف الرحمة، تسعى بأيّ ثمنٍ للبقاء.

عندَ بوابة المعبد، وقفتْ فتيات الهيكل العذراوات بثيابهنَّ البيضاء، كأنَّهُنَّ جدارًا أخيرًا يحمي مُقدّسات (آمون) .

وقفنَ بشجاعةٍ يرفعنَ أذرعهنَّ لمنعِ الحشود من التقدّم.

صرختْ بهم (ميريت-كا) بنبرةٍ ترتجف ما بينَ الخوف والواجب:

- هذا بيت (آمون)، لا يُمكنكم الاقتراب!

لكنَّ الرِعاعَ لم يكونوا في حالةٍ تسمح لهم بالاستماع، فقد غمرتهم الوحشيّة، ودفعهم الجوع إلى مُهاجمةِ البوابة بعنف، يدفعونَ بأجسادهم وكأنَّهم موجة هادرة تُريدُ أنْ تكتسحَ كُلّ شيء.

في هذهِ اللحظة الحرجة، خرجتْ (إيمونت) من قلبِ المعبد، بخطواتها الواثقة وهي ترتدي عباءتها الملكيّة الحمراء المُزيّنة بخيوطٍ ذهبيّة، وكأنَّها تجسيد حيّ للهيبة والرحمة في آنٍ واحد.

عيناها اللتانِ لطالما نظرتا إلى الآلهةِ بشموخ، نظرتا الآن إلى الشعبِ بجوعهِ وألمه.

رأتْ في وجوههم انعكاسًا لحقيقةٍ مريرة، حقيقة أنَّ القوة والسُلطة لا معنى لها إذا كانَ الشعب يموت على أعتابِ معابد الآلهة.

تقدّمتْ (إيمونت) نحوَ الفتيات اللائي حاولنَ بكُلِّ جهدٍ منع الحشود من التقدُّم، ورفعت يدها بإشارةٍ هادئة، توقفت الفتيات عن المُقاومة، والجموع قد صمتت فجأة، مُشدوهة بحضورها.

- يا أبناءَ مصر.

وتابعت بصوتٍ هادئ لكنَّهُ مليء بالقوة:

- أعلمُ أنَّ الجوع قد نالَ منكم، وأنَّ الحياةَ لم تَعُد تحمل لكم سوى الألم.. (آمون) هو إله الخصب والعطاء، ولا يُمكن أنْ يحرمَ أبناءهُ من ما يحفظ حياتهم.

كانتْ كلماتها كالمطر الذي يسقي الأرض الجافّة.

تقدّمت نحوَ أبواب صوامع الغِلال التي كانتْ مُغلقة بإحكام، وضعت يدها على القفلِ القديم، ثُمَّ نظرت إلى السّماء، وكأنَّها تطلب مباركة (آمون) لمَا هي مُقبلةٌ على فِعله.

بصوتٍ مُفعمٍ بالإيمانِ قالت:

- إلهنا العظيم (آمون) لا يُريدُ أنْ يموتَ شعبهُ جوعًا.. اليوم سأفتح لكم أبواب هذهِ الصوامع لتأخذوا ما تحتاجون، لكنْ تذكّروا، هذا ليسَ نهبًا، هذا عطاء (آمون) لكم.

فتحتْ (إيمونت) أبواب الصوامع الضخمة، وأمام أعيُنِ الرِعاع الذّينَ نهشَ الجوعُ أجسادهم.

انكشفتْ أكوام الحبوب والقمح المخزونة، بريقها الذهبي يعكس أملًا جديدًا في النجاة، كانَ المشهد مهيبًا؛ حينَ بدأت الجموع تتقدّم ببطءٍ في البداية، وكأنَّهم غير مُصدّقين لما يحدُث.

ثُمَّ سُرعان ما اندفعوا بشكرٍ وعرفان، يأخذونَ ما يحتاجونَهُ من الحبوبِ ليعودوا بهِ إلى عوائلهم اللاتي تموتُ جوعًا.

وقفَ الجميع في لحظةٍ من الصمت والتأمل، وكأنَّ الزمنَ قد توقف، لم يَكُن مشهدًا من النهبِ أو الجشع، بل كانَ تعبيرًا عن حاجةِ الإنسان للبقاء، وحكمة (إيمونت) التي فهمت أنَّ الرحمة يجب أنْ تتفوّقَ على كُلّ شيءٍ آخر.

ظلّتْ (إيمونت) واقفة ترقُبهم وهُم يملؤونَ أكياسهم ويُمزقونَ ثيابهم ليملؤها بالقمحِ والشعير، عيناها الهادئتانِ كانتا تحملانِ مزيجًا من الشفقةِ والتفاني.

كانتْ تعلم أنَّ ما فعلتهُ اليوم قد يُنقذُ أرواحًا كثيرة، لكنَّها أيضًا كانتْ تُدركُ أنَّ هذا ليسَ حلًّا دائمًا.

وجبَ عليها إيجاد وسيلة تجمع بينَ الحكمة والعدل لحمايةِ مصرَ من الانهيار.

عندما غادرَ آخر رَجُل من الحشود وهو يحمل حصّته من القمح، عادتْ (إيمونت) إلى داخلِ المعبد، وقد حُفِرَتْ هذهِ اللحظة بقلبها إلى الأبد؛ إذ رأتْ وجوه الشعب الجائعة، ورأتْ كيفَ يُمكنُ للرحمةِ أنْ تكونَ أقوى من أيّ قوةٍ أُخرى، وانحدرت دموعها تبكي ما وصلَ إليهِ حال البلاد.

وقفتْ أمامَ تمثال (آمون) الذهبي ودمعها يُغرّقُ وجهها، خرّتْ على وجهها تتضرع، تبكي حالَ الشعب والبلاد، يعتصر قلبها ألمٌ رهيب، كادَ أنْ يجعل أحشائها تنفجر من كثرةِ

المُعاناة.

اعتصرتْ رماد المبخرة بيدها، كانتْ نيران الجمر أرحم على جسدها من النيرانِ المُستعرة بحشاها، صرختْ في تضرُع:

- إلهي وربّ الأرباب (آمون)، يا مَن أشرقَ وجهه على الأرض فاخضّرَ وجه البسيطة، يا مَن يَفيضُ من بينِ يديهِ الماء العذب ليروي القلوبَ قبلَ الأبطُن.. ارحم عبيدك، اغفر لهم زلّاتهم، أشرِق بنورِ وجهكَ على حياتهم.

تعالى نحيبها أكثر وأكثر، ظلّتْ مُفترشة الأرض أسفل تمثال (آمون) الذهبي، يعتصر الألم قلبها، طلبتْ الموت رحمةً من هذا العذاب، ولكنْ لا مُجيب، فجالب الموت والخراب، يرفض موت الراحة لها!

فجأة ارتجَّ المكان بزلزلةٍ عظيمة وأظلمت الشَّمس في مُنتصفِ النّهار، تعالى الصُراخ في كُلِّ مكان، تتمادى الأرض أسفل أقدامها هي

والعذراوات خادمات المعبد، حاولتْ النهوض لكنَّها لم تستطع، توقفَ كُلّ شيءٍ فجأة، سطعَ ضوء مُبهر من تمثالِ (آمون) حتّى أغشى أبصارهنَّ جميعًا فسقطنَ أرضًا في مُحاولةٍ منهنَّ لحمايةِ أعينهنَّ بأيديهنَّ، وتعالى صوت جهوري ملئ بالغضبِ والسخط:

- (إيمونت).. أيَّتُها اللعينة رافضة المشيئة.

يا (إيمونت)، يا مَن حَملتِ سُلطتي ووقفتِ في محرابي، كيفَ تجرؤينَ على تحدّي إرادتي؟ كيفَ تُقدِمينَ على منحِ عطاياىَ المُقدّسة لرعاعٍ جَشعين، دونَ أنْ تطلبي إذنى؟

أنا (آمون)، سيّد الحياة والموت، القادرُ على إحياءِ الأرض أو إبادتها.

هل تظنّينَ أنَّ حكمتي لا تفوق حكمتكِ؟

هل تعتقدينَ أنّني لا أرى ما يحدُث في مملكتي؟

الحبوب والقرابين التي منحتيها كانتْ مُقدّسة، ومُخصّصة لي وحدي، لآلهة السَّماء، وليستْ لأفواهِ الجوعى الذّينَ لا يؤمنونَ بي ولا يعبدونني كما يجب!

ما فعلتيهِ يا (إيمونت) لم يَكُن سوى خيانتُكِ لعهدي.. قد أشفقتِ على الشعب، ولكنَّكِ لم تُدركي أنَّ هذهِ الأرض تحتاج إلى تضحيات، إلى طاعة كاملة دونَ تردّد.

إنّني أُعاقبكِ اليوم لأنَّكِ ضعفتِ أمام مشاعر البشر الزائلة، الرحمة التي أظهرتيها كانتْ على حسابِ قوّتي وعظمتي.

(إيمونت)، حكمتي أعظم من رحمتكِ الزائفة، واليوم ستعلمينَ أنَّني الإله الذي لا يَقبل العصيان؛ سأنزع عنكِ بَركَتي، وسأجعلكِ شاهدة على ما سيحدُثُ لشعبكِ. سيعود الجوع، وستغمر الفوضى الأرض، وسيعلمونَ جميعًا أنَّ غضبَ (آمون) لا يَرحم.

لقد اخترتِ طريق الشفقة، لكنَّ الشفقةَ لن تنقذكِ من غضبي.. أبدًا!

الفصل الثاني عشر

انتفضَ (بدر) من فِراشهِ فَزِعًا تعالتْ دّقات قلبه حتّى كادَ أنْ يثبَ من صدره!

اعتدلَ جالسًا وتلّفتَ حولهُ في مُحاولةٍ منهُ لإدراك أينَ هو.

نظرَ تجاه (راتب) المُستلقي على الفِراش المُجاور في وضعٍ صعبٍ يبعث على الضحك؛ حيثُ كان رأسهُ ملتفًا للخلفِ وفِيهِ مفتوح، نتيجة إرهاقهِ الأيَّام الماضية.

أمسكَ (بدر) هاتفه ليرى الوقت، كانتْ الساعة تُشير إلى الثانية بعدَ مُنتصفِ الليل، أدركَ أنَّهُ توقيت مثالي فعلًا، اقتربَ من (راتب) وأخذَ يلكزهُ بيدهِ بهدوءٍ كي يُوقظه، لكنَّ الأخيرَ كانَ في سُباتٍ يُشبهُ الموتى، وفي نهايةِ الأمر فتحَ عَينيهِ وهو ينظر إلى (بدر) غير قادر على استيعاب مَن هذا وأينَ هو؟

دقائقَ معدوداتٍ وكان (راتب) قد استوعب واستيقظ واعتدل هو الآخر، ثُمَّ تساءلَ عن الوقت فأخبرهُ (بدر)، فنهضَ من الفِراشِ وأمسكَ زجاجة مياه صغيرة بجوارهِ وتجرعَ نصفها، وسكبَ الباقي منها على رأسهِ ووجهه مُحاولًا أنْ ينفض آثار النُّعاس عن عقله.

شرعَ في ارتداء ملابسه سريعًا والتفتَ إلى (بدر) فوجدهُ يحذو حذوهُ هو الآخر، لكنَّهُ لاحظَ ملامح (بدر) الجامدة وفكره المُشتت فسألهُ:

- بما تُفكر؟

وماذا حدث؟

فأجابهُ (بدر):

- قد حلمتُ بها مرّة أُخرى!

توقف (راتب) والتفتَ إليهِ:

- من؟

أتقصد (إيمونت)؟

هزَّ (بدر) رأسه مُصدّقًا على كلامهِ وقالَ وهو يرتدي سُترته:

- أجل يا صديقي.. هي.

ولكنَّها ليستْ أحلامًا طبيعيّة بالمرّة، كأنَّها روية أو رسالة أو مشهد من فيلم أو حياة سابقة بكُلِّ تفاصيلها وأحداثها، أُشاهدها كمَن يجلس في السينما ولكنَّ الفارق هو شعوري أنَّني موجود بداخلِ التفاصيل، لكنْ دونَ أدنى تدخُل منّي في الأحداث.

اقتربَ منهُ (راتب) وأمسكَ كتفه ليواجههُ وقال:

- أخبرني بالتفصيلِ ماذا رأيت؟

هزَّ (بدر) رأسهُ وقال:

- أحداث مُتفرقة، فمثلًا مُنذُ قليل كُنتُ في ذلكَ المعبد بكُلِّ تفاصيله، أيضًا كانتْ هُناكَ مجاعة عظيمة في كُلِّ مصر حتّى هَجمَ الشعب على المعبد فخرجت هي وسيطرتْ على الأمور وفتحت

مخازن الغِلال للنّاس، وبعدها ظهرَ (آمون) وغضبَ عليها ولعنها واستيقظتُ قبلَ أنْ يكتملَ الحدث أو أفهم ماذا حدثَ بعدها.

أنهى (بدر) حديثه ورانَ الصمت بعدها حتّى انتهيا من ارتداء ملابسهما، وتحرّكَ (بدر) وتَبِعَهُ (راتب) بهدوء ودونَ أنْ يُصدرا أيّ صوتٍ.

كانَ (بدر) يُراقب حركة الحراسة وأشارَ إلى رفيقهِ أنْ يتبعهُ عندما تأكد أنَّ الحراسةَ قد ابتعدتْ عن هذا الجانب، وبِخفّةٍ تحرّكَ الاثنانِ مُتلحفانِ بالظلام، وتجاوزا الحبال الموضوعة، وسارا معًا بينَ الكُثبان الرمليّة والصخور المُترامية حتّى بلغا الموضع المنشود.

تواريا خلف الصخرة التي عثرا أسفلها على الغُرفة الخاصّة بالقرابين، وظلَّا يُتابعانِ الطريق خلفهما خوفًا من أنْ يتبعهما أحد، وحينَ اطمئنا شرعا في رفعِ الرمال التي كانا قد أخفيا الحفرة بها، حتّى وصلا إلى الصخرة الموضوعة لسدّ الثقب الذي صنعهُ (بدر) بسقفِ الغُرفة، وتعاونا لرفعها وبالفعلِ ظهرت الغُرفة. أضاء (بدر) كشَّاف هاتفه المحمول، وأنزلهُ من الثقب وفحصَ الغُرفة مرّة أُخرى جيّدًا خوفًا من وجود عقارب أو ثعابين قبلَ أنْ يهبطا إلى الداخل.

وحينما اطمئنَ تمامًا أخذَ طرف الحبل الذي أحضرهُ (راتب) والخاصّ بالهبوطِ في مِثلِ هذهِ الأماكن، وقاما معًا في تثبيتهِ وربطهِ جيّدًا حولَ جذع إحدى الأشجار القريبة، وقاما بإنزال طرفه الآخر

من خلالِ الثُقب بهدوء؛ كي لا يتسبّبا في انهيال الرمال داخل الفُتحة، وبعدَ أنْ تأكدا من وصولهِ إلى أرضيّةِ الغُرفة، قاما بتثبيتهِ جيّدًا وقد أحكما ربطهِ ثُمَّ قاما بصُنعِ أكثر من عُقدة بهِ لتكونَ موضعًا لأقدامهما أثناء الهبوط والصعود مرّة أُخرى.

أخرجا من حقيبةِ الأدوات التي أحضراها معهما، حزام المُعدّات وقامَ كُلّ واحدٍ منهما بتثبيتهِ حولَ خصره، وكذا مِصباح صغير مُعدّ للتثبيتِ أعلى الرأس.

كانَ (بدر) هو أوّل مَن استعدَّ للهبوط، وهو يُمسكُ الحبل ويلّفهُ حولَ إحدى ساقيهِ ويترك الأُخرى حُرّة مُستخدمًا الطريقة الشهيرة للهبوطِ من المُرتفعاتِ باستخدام الحبال، وبالفعلِ قد جلسَ على طرفِ الفُتحة التي صنعاها وبدأ بالهبوطِ.

لم تَكُن رحلة الهبوط صعبة لكنَّهُ فضّلَ التأنّي، فلم يَكُن يُريد الهبوط بسرعة، بل أرادَ أنْ يتفحص الجُدران أثناء الهبوط، واتسعتْ عيناهُ ممّا شاهده؛ إذ كانتْ الجُدران مُزدانة بنقوشٍ مُبهرة، والعجيب في الأمرِ هو ألوان النقوش الواضحة، وكأنَّها قد تمَّ رسمها مُنذُ ساعاتٍ قليلة لا مُنذُ آلاف السنين!

أخذَ يُحرّك رأسه وهو يُمسكُ بالحبلِ من أمامهِ ومن خلف ظهرهِ ليُبطء عملية هبوطه؛ لرغبتهِ في الاستمتاعِ بهذهِ المشاهد التي سلبت لُبّه بالكامل.

وبمُجرّد أنْ وصلَ إلى الأرض، تركَ الحبل ونظرَ لأعلى وأشارَ إلى (راتب) أنْ يتبعهُ، وبالفعلِ هبطَ (راتب) سريعًا لم يأخذ تقريبًا نصف الوقت الذي استغرقهُ (بدر)، وقفا مُتجاورانِ وقد أمسكا بأيدي بعضهما البعض، حرصًا وعملًا ببرتكول اسكتشاف المقابر والأماكن الأثريّة خوفًا من الانهيارات

الأرضيّة، أو الحيوانات السامّة مثل العقارب والثعابين وأُمّ أربعة وأربعون وغيرهم، فمعَ قِدمِ هذهِ الأماكن قد تُصبح

الأرض هشّة غير قادرة على استيعاب أوزان أجساد المُستكشفين ممّا يُعرّض حياتهم للخطر.

بفحصٍ سريعٍ أدركا أنَّ الأرضَ الخاصّة بالغُرفةِ سليمة ومُتماسكة تمامًا، وكأنَّ العُمّال الذّينَ قاموا بصقلِ الأرض قد انتهوا من عملهم مُنذُ أيَّامٍ قليلة.

تحرّكا في اتجاهٍ لفحصِ مُحتويات الغرفة، كانتْ الغُرفة رحبة واسعة يتخلّلها أربعة أعمدة تحمل السقف، وتتزيّن جُدرانها بنقوشٍ كثيرة تخصّ الإله (آمون)، وتحتوي الغُرفة على العديد من التماثيل الخاصّة بصاحبِ المعبد، أغلبهم قد صُنِعَ من الذهب بأحجامٍ وأشكالٍ مُتنوّعة توضح وضعيّات مُختلفة لهُ في العديدِ من المناسبات.

اقتربَ (بدر) من جدارٍ بعيدٍ وتوقفَ مبهوتًا مذهولًا؛ إذ كانَ الجدار بالكاملِ يَحملُ صورها.. (إيمونت)!

جدار كامل يحكي قصّتها بتسلسُلٍ غريبٍ عجيب، كانتْ القصّة تبدأ من أعلى إلى أسفل ونظرًا لضعفِ الإضاءة لم يتمكن من القراءة من البداية، ولكنَّهُ توقفَ أمام آخر مشهد أمامه مُباشرةً.

كانَ مشهدًا عجيبًا.. كانَ يُمثّل (إيمونت) وهي ساجدة أرضًا تبكي وتحمي رأسها بذراعيها، ويقف الإله (آمون) أمامها مُباشرةً وهو يُشيرُ إليها بوصلجانٍ ذهبيٍّ ينتهي بكُرةٍ لامعة، وكأنَّهُ يضربها بها على رأسها وهي تحمي رأسها منها.

توقفَ طويلًا أمامَ هذا المشهد، لم يستطع أنْ يفهمَ ما الذي يحدُث؛ ضعف الإضاءة لم يُساعدهُ على قراءة الرموز ليفهمَ ماذا حدث.

قد تعلّقَ نظرهُ بالكُرةِ في نهاية الصولجان؛ إذ كانتْ تلمع لمعانًا غريبًا جدًّا وكأنَّ شررًا كهربائيًّا يتطاير منها!

وللحظةٍ توّهمَ أنَّ الشررَ مازالَ يتطاير من الكُرة، فمدَّ يدهُ يستشعرها بشكلها الغريب والشرر المُتطاير منها.

وفجأة انتفضَ جسده وكأنَّ صاعقة كهربائيّة قد أصابته، فصرخَ صرخة عالية و مادتْ بهِ الأرض وسطعَ ضوءٌ مُبهر أغشى عيناهُ حتّى كاد أنْ يُصيبهُ بالعمى.

حاولَ أنْ يستنجدَ براتب ولكنَّهُ لم يستطع، أو قُلْ لم يُسعفهُ الوقت؛ إذ شعرَ بقوةِ جذبٍ رهيبة قد قامتْ بسحبهِ إلى الجدار وحدثَ انفجار رهيب، ومعهُ سادَ هدوء غريب، واختفى كُلّ شيءٍ بغتة.. حتّى (بدر)، قد اختفى دونَ أدنى أثر تمامًا!!!

الفصل الثالث عشر

بعدَ أنْ هدأ هدير الرياح وصمتت الجُدران، عادَ صوت (آمون) العظيم ليملأ المكان، لكنَّ الصوتَ هذهِ المرّة كانَ مشحونًا بشيءٍ أعمق، شيء يتجاوز الغضب؛ يخرج من قلبِ الغضب الإلهي، ولكنَّهُ مُشبَّع بقدرٍ من الإنتقامِ يكفي أنْ لإبادةِ مدينة كاملة.

يا (إيمونت) يا مَن تجرأتِ على مُخالفة إرادتي، لن يكونَ غضبي على جسدكِ فحسب؛ بل على رّوحكِ التي سترتبط بلعنةٍ أبديّة، لعنة سترافقكِ حتّى نهاية الزمان.

سأصبّ عليكِ لعنة لا يستطيع أحد في الأرض ولا السّماء أنْ يُخلّصكِ منها، ستعيشينَ حياةً كاملة لكنَّ قلبكِ سيحمل عذابًا لم يعرفهُ أحد من قبلكِ، ستُغرَمينَ حبًّا مُستحيلًا، حبًّا يعصفُ بروحكِ ويأسر قلبكِ، لكنَّ هذا الحبيب لن يكونَ من زمنكِ.. سيكون من زمنٍ آخر، بعيد كُلّ البُعد عن قبيلتكِ وعشيرتكِ، ومن دينٍ غريبٍ لا تفهمينهُ.

لغتهُ ليستْ هي لُغتك، ستظلّ رّوحكِ مُتعلّقة بهِ، تسعى وراءهُ في العصورِ والآمال، وتلتقيا ولكنْ لن تنعما معًا بحياة!

سأجعلكِ تتذوقينَ طعم الحُبّ الذي لن تملكيهِ، حبًّا يتسلل إلى قلبكِ كالنَّارِ الآكلة تحرقكِ ببطء.

ستمضينَ حياتكِ باحثةً عن هذا الإنسان الذي ليسَ لكِ ولن يكونَ لكِ، ستدورينَ في الدوائر الزمنيّة تبحثينَ عن وصلهِ، لكنْ في كُلِّ مرّة تقتربينَ سينزلق من بين يديكِ كما ينزلق الماء من الأصابع، ستكونينَ لعنتهُ وحبّه.. أمَّا وهو فسيكون عقابكِ.

لن يكونَ قلبكِ ملكًا لنفسكِ بعدَ الآن، سيكون سجينًا لهذا الحُبّ المُستحيل، يشغلكِ ويُسيطر عليكِ، يسرق منكِ الهناء والسّلام، ستُعانينَ العُزلة بينَ قومكِ؛ لأنَّ حبّكِ سيبقى سرًّا دفينًا، لن يراهُ أحد، ولن يعرفهُ سواكِ، ستبكينَ لليالي لكنَّ أحدًا لن يُخففَ عنكِ.

تذكّري لن تجدي خلاصكِ من هذهِ اللعنة أبدًا، ستظلّ رّوحكِ مُتأرجحة بينَ عوالم الزمن، مُتعلّقة بشخصٍ ليسَ لكِ، وبهذا ستعيشينَ اللعنة الأبديّة.

أنهى كلماتهِ الغاضبة ورفع صولجانهِ الذهبي ذو الدائرة

اللامعة في نهايتهِ ووجهُ إلى (إيمونت) المُفترشة الأرض أمامهُ، فخرجتْ من كُرتهِ شراراتٍ صغيرة ممّا جعلَ الأخيرة تتراجع في فزعٍ وترفع ذراعيها لتحمي وجهها من الشرارات.

فجأة حدثَ انفجار رهيب وسطعَ ضوء رهيب يغشى

الأبصار، وأطاحَ الانفجار بجسد (إيمونت) عِدّة أمتار للخلفِ حتّى اصطدمت بأحدِ أعمدة المعبد وسقطتْ أرضًا وهي تتأوه من قوّةِ الانفجار، أثناء مُحاولتها النهوض من قوة

الألم رأتْ أغرب مشهد يُمكن أنْ تراهُ في حياتها!

شاهدتْ جسدًا قد تكوّمَ أرضًا فاقدًا للوعي ساكنًا بلا حراك، جسد شابّ في مُقتبل العمر، ولكنَّهُ غريب الملابس، زيّ غريب وألوان أغرب، اقتربتْ منهُ بحذرٍ.

كانَ شابًّا بالفعلِ يحمل ملامح جميلة، تُضيء جبهته بإنارةٍ قويّة نسبيًّا حتّى أنَّها لم تستطع أنْ تنظر في وجههِ لفترةٍ طويلة، وضعتْ يدها على عُنقهِ فشعرتْ بالحياةِ تدبّ في أوردته.

اعتدلتْ ونظرتْ تجاه تمثال (آمون) فوجدتهُ عادَ إلى حالتهِ الأصليّة وتوقفت الرياح تمامًا كما توقفت الأرض عن

الإهتزاز، وعادتْ أشَّعة الشَّمس مرّة أُخرى لتنتشر بينَ جنبات المعبد.

- (ميريت-كا).. هَلّمي إليَّ وأحضري الفتيات.

تقدّمت الفتيات بعد ندائها هذا، وهُنَّ في غايةِ الفزع

والرُعب بعدَ كُلّ ما حدث، والرياح واِهتزاز الأرض والانفجار والضوء المُبهر الذي غمرَ المكان، كانتْ تُدرك جيّدًا أنَّ ظهور (آمون) وحديثه هو لها هي فقط، وأنَّ باقي الفتيات لم يُشاهدنَ ما حدث، لأنَّها لم تَكُن المرّة الأُولى التي خاطبها (آمون) وحدها.

تعاونَ الجميع على رفعِ الجسد المُسّجى أرضًا، وقُمنَ بحملهِ حتّى غُرفة كبيرة جانبيّة مُلحقة بالمعبد خاصّة بإيمونت، لتستريحَ بينَ الصلوات وأداء العبادات، قُمنَ بوضعِ الجسد على سريرٍ صغيرٍ مصنوعٍ من خشب الصندل ولهُ أربعة أرجُل على هيئةِ أسود،

وتكسوهُ أغطية من الكتّان المصري، تركنَ الجسد وقد أشارتْ لهنَّ (إيمونت) بالخروجِ من الغرفة، لكنَّ (ميريت-كا) بقيت معها؛ إذ هي أقربهُنَّ إليها.

اقتربتْ منهُ وحاولت أنْ تتبيّنَ تفاصيله كُلّها من زيّهِ إلى حذائهِ إلى مُتعلّقاته، توقفت أمام وجههِ كثيرًا لم تستطع أنْ تُدركَ ملامحه جيّدًا بسببِ شعاع الضوء الخارج من جبهتهِ فغشّى بصرها، لم تفهم كيفَ يَحدُثُ هذا؟

هل هو من الإله لذا يُنير وجهه؟

أم أنَّهُ ليسَ من البشرِ وليسَ من الإلهِ ايضًا؟

مدّتْ يدها وتحسّستْ وجهه، كانَ شعاع الضوء يخرج من مربعٍ داكن اللون أعلى جبهته، حجبتْ بكفّها الضوء كي تستطيع أنْ تتفحص ملامحه، وقفت مبهورة مأخوذة ممّا رأت، كادتْ أنْ تشهق من جمالِ وجههِ وحُسنهِ وبهائه، أوشكت أنْ تُقسمَ بكُلّ الآلهة أنَّها لم ترى في مِثلِ جمالهِ أبدًا!

ظلّت تُحدّق في وجههِ فترة، لم تشعر بالوقت، كانتْ تُغطي الضوء الصادر من جبهتهِ بكفّ يدها اليُسرى، وتضع يدها على صدرها أعلى قلبها مُباشرة؛ لتطمئنَ أنَّهُ بمكانهِ، فبعدَ أنْ تعالتْ دّقاتهِ حتّى شعرت أنَّهُ قد غادرَ جسدها والتصقَ بهذا الجسد المُسّجى أمامها.

لمست يدها مصدر الضوء، كانَ ساخنًا أكثر من باقي جسده، شعرت أنَّ حياتهُ قد تكون في خطرٍ كمثلِ مَن تعرّضَ إلى لدغات الثعبان أو

العقرب، أسرعت بإحضارِ إناءٍ بهِ ماء وقطعة من الكتّان الأبيض، وأخذتْ تُبلل قطعة الكتّان وتضعها على مصدرِ الضوء أعلى جبهته، كمُحاولةٍ منها للتخفيفِ من حرارةِ رأسهِ وخاصّةً الجزء الذي يشّع ضوءًا.

فجأة تحرّكَ صاحب الجسد، ارتعشتْ وابتعدتْ فزعةً وظلّتْ تنظر إليهِ دونَ أنْ تُحاول الاقتراب منهُ مرّة أُخرى.

تحرّكَ مرّة أُخرى، وصدرتْ منهُ آهة مكتومة، وتبعها بفتحِ عَينيهِ وظلَّ ينظر لسقفِ الغرفة، وكأنَّهُ يُحاول أنْ يُدركَ الوضع، وأخيرًا اعتدلَ في هدوءٍ ومعَ حركتهِ سقطت قطعة الكتّان المُبللة من أعلى مصدر الضوء بجبهتهِ، فعادتْ أشَّعة الضوء مرّة أُخرى تغشى الأبصار، ظلَّ ينظر يمينًا ويسارًا وتوقفَ بنظرهِ على (إيمونت) واتسعتْ عيناهُ وتمتمَ قائلًا:

- مُستحيل!!

أنتِ!!؟؟

ومعها تعالتْ دّقات قلبه حتّى كادتْ أنْ تسمعها.

الفصل الرابع عشر

لا بُدَّ أنَّني أحلم، ولكنْ هل يحيا الإنسان الحُلم بمثلِ هذهِ التفاصيل الدقيقة؟

- مُستحيل!!

أمسكَ يدهُ اليُسرى باليُمنى وضغطَ بأصابعهِ بقوّةٍ على جلدِ ذراعهِ حتّى تأوه من الألم، وقالَ هامسًا:

- بالتأكيدِ ليسَ حُلم، لا يُمكن أنْ يشعر الإنسان بالألم في الحلم.

جالَ كُلّ هذا بخاطر (بدر) وهو ينظر تجاه (إيمونت) الواقفة أمامهُ بزيّها الأحمر البرّاق، وكُلّ المشغولات الذهبيّة التي تُغطي جسدها ورأسها، شعرَ لوهلةٍ أنَّهُ قد دخلَ أحد كُتب التاريخ، وأنَّهُ يقف أمامَ شخصيّة من الشخصيّات التاريخيّة التي طالما حلم بها وهو صغير مثل (نفرتاري) أو (حتشبسوت)، ولكنَّها تفوقهنَّ جمالًا وحُسنًا ورِّقة.

اعتدلَ على الفِراش استعدادًا للهبوطِ منه، فما كانَ منها ومن مُساعدتها (ميريت-كا) إلَّا أنْ تراجعتا للخلف، فرفعَ يدهُ إليهما أنْ تتوقفا بإشارةٍ ألَّا تخافا.

لكنَّ (إيمونت) قد أمسكتْ بذراعِ مُساعدتها وجذبتها خلفها وكأنَّها تحميها وتذود عنها، وقالتْ بلغةٍ مصريّةٍ قديمة:

- بحقِّ (آمون-رع) توقف يا مَن خرجتَ من الضوء وحامل الضياء.

توقفَ (بدر) بعدَ هذهِ الجُملة؛ إذ أنَّهُ ولأوّلِ مرّةٍ بحياتهِ يسمع اللغة المصريّة القديمة بهذهِ السلاسة والبساطة، لدرجة أنَّهُ لم يستوعب المعنى من البداية، لكنَّهُ قد جمعَ أفكاره حتّى نجحَ في إدراكِ ما قالت، وفَهمَ سبب هلعهما منه، فأشارَ لها بيدهِ أنْ تهدأ، وبيدهِ الأُخرى قامَ برفعِ المِصباح المُثبت إلى رأسه، والذي كانَ مازال يعمل وهو ما جعلها تقول لهُ هذا اللفظ (حامل الضوء)، وهُنا صدرتْ شهقة تعجُب من الفتاتين لمَا فعل، فهذا أشبه بالسّحر الذي يُمارسهُ كهنة المعبد المُتمّرسين.

خرّتا ساجدتينِ لهُ فتقدّمَ من (إيمونت) وأمسكها من ذراعها ليُساعدها على النهوض، ونظر في عينيها وهُنا حدثَ أمرٌ غريب لم يمُرّ بهِ في حياتهِ من قبل، شعرَ وكأنَّ صاعقةً كهربائيّة أصابتْ قلبه مُباشرةً، فتعالتْ دّقات قلبه حتّى كادتْ أنْ تسمعها (إيمونت) نفسها والتي هي بنفسِ الحالة تقريبًا، ظلّت صامتة غارقة في زُرقةِ عَينيهِ كمَن ألقتْ بنفسها في بحرٍ عميقٍ وتركتْ نفسها لأمواجٍ حسنة تُداعبُ جسدها.

ظلَّا ينظرانِ في أعيُنِ بعضهما البعض لفترة، وأخيرًا أفاقَ (بدر) من خدرِ جمالها، وساعدها على النهوض، وأشارَ إلى صدرهِ وقال:

- (إياحا).. (بدر).

كانَ يقصد اسمه حاولَ أنْ يقولهُ بالمصريّة القديمة، ومعناهُ بالعربيّة كي تستطيع نعتهِ بهِ فيما بعد.

لكنَّها أشارتْ بيدها إلى صدرهِ وقالت:

- نجد.. (إيا-رع).

اتسعتْ عيناهُ من الذهول؛ إذ قالتْ لهُ:

- لا أنتَ تُدعى حامل الضياء.

هُنا أدركَ تقارب اسمه الحقيقي (بدر) من نفس المعنى تقريبًا، فابتسمَ لها، فما كانَ منها إلَّا أنْ ابتسمتْ لهُ هي الأُخرى.

فمدَّ يدهُ التي تحمل المصباح، واقتربَ من رأسها، كانتْ قد شعرتْ بالفزعِ فهي لا تفهم ما الذي ينوي فِعله بهذا الضياء؟

فما كانَ منهُ إلَّا أنْ وضعَ المصباح أعلى رأسها على جبتها، وهُنا شهقت (ميرت-كا) في انبهارٍ حينما رأتْ وجه (إيمونت) وهو يُضيءُ وخرّتْ ساجدة مرّةً أُخرى.

تحرّكتْ (إيمونت) وهي مُنبهرةٌ حتّى وقفتْ أمامَ لوحٍ مَعدنيٍ مصقولٍ يُستخدم كمرآة قديمًا، توقفتْ أمامهُ وقد اتسعتْ عيناها من شِدّةِ الانبهار، فلم تتخيَّل يومًا أنْ تُشّعَ ضياءً كَالشَّمس!

تقدّمَ منها (بدر) بهدوء ومدَّ يدهُ ونزع عنها المصباح وضغطَ على زرِ الإضاءة بهِ فأطفأهُ فشهقتا؛ إذ أنَّهُ يقوم بسّحرٍ عظيمٍ بالنسبةِ لهما.

ولكنَّهُ توقف أمامَ (إيمونت) مُحاولًا أنْ يشرحَ لها أنَّ هذا المصباح ما هو إلَّا جهاز للإضاءة وحسب، لكنَّ قاموسهُ من الكلمات المصريّة

القديمة لم يُسعفهُ في الشرح، فحاولَ في كلماتٍ بسيطة أنْ يشرحَ لها باختصارٍ مُراهنًا على ذكائها الواضح بنظرةِ عينيها.

- ضياء، قنديل، شُعلة.

أدركتْ ما يُحاول أنْ يقولهُ لها، فابتسمتْ، هذهِ المرّة سقطَ فكّه السُفلي في انبهارٍ حقيقي، فلأوّلِ مرّة بحياتهِ يرى مثل هذا الجمال وهذهِ الابتسامة، حتّى كادَ أنْ يجزم بعدمِ رؤيتهِ لنساءٍ من قبل، فمع ابتسامتها ظهرتْ أسنانها البيضاء كصفوفٍ من اللؤلؤ المرصوص بينَ شفتينِ مصنوعتينِ من أشهى الفواكه الموسميّة.

ظلَّ هكذا ينظر إلى وجهها حتّى شعرتْ هي بالخجل، فأشاحت بوجهها بعيدًا ونظرت تجاه (ميريت -كا)، وطلبت منها اِحضار طعام للضيف، أدركَ ما طلبت، لم يُحاول أنْ يوقفها أو يمنعها برغم عدم شعورهِ بالجوع، إلَّا أنَّهُ لم يشأ أنْ يُزعجها برفضه، وبعدَ أنْ ذهبت (ميريت-كا) لتنفيذ أمر (إيمونت)، أمسكتْ الأخيرة بيدهِ وهي تُشير لهُ أنْ يتبعها.

وبالفعلِ سارَ معها حتّى خرجا من الغُرفة، ولأوّلِ مرّة يرى المعبد بأعمدتهِ الشاهقة.

سارَ معها كالطفلِ الذي يُمسكُ بيدِ أُمّهِ خوفًا أنْ تتركهُ وحيدًا.

وصلا إلى مُنتصفِ المعبد تقريبًا وهُنا اتسعتْ عيناهُ في انبهارٍ تامّ، لأنَّهُ كانَ يقف أسفل تمثال (آمون) الذهبي الذي تحدّثتْ عنهُ البرديّة بنفسِ المقاييس والوصف التفصيلي، حتّى شعرَ أنَّهُ مازالَ يحلم وأنَّ كُلّ هذا ليسَ بحقيقة، قطعت (إيمونت) أفكاره وهي تُشير للتمثالِ وتنحني وتقول لهُ:

- (آمون).

أدركَ أنَّها تُحاول أنْ تشرحَ لهُ فأجابها وهو يبتسم:

- آمون-رع) بمعنى (آمون الظاهر كالشَّمس أو آمون المُضيء.

فنظرتْ لهُ بإعجابٍ لذكائهِ وإدراكه.

أتتْ (ميريت-كا) حاملة لمعونٍ مليء بكُلّ أنواع الفاكهة مع اختلاف صفاتها الشكليّة من حيثُ الحجم.

تابعا المسير حتّى وصلا إلى جزءٍ مفتوحٍ بينَ عمودين للهيكل يطلّ على صحراء شاسعة، ولكنْ برغمِ هذا فالرياح تجري بينَ أعمدتهِ ممّا يجعل المكان رطبًا ولا تشعر فيهِ بقَيظِ الشَّمس أو حُرقتها أبدًا.

أشارتْ لهُ بالجلوسِ فوقَ صخرةٍ مُربعة الشكل صغيرة، مُعدّة للجلوسِ كَمصطبةٍ صغيرة، وجلستْ هي الأُخرى بجوارهِ على صخرةٍ مُماثلة، وأخذتْ من الفاكهة وقدّمتها إليه..

هُنا فقط ساورتهُ فكرة غريبة وعجيبة، شعرَ أنَّهُ قد ماتَ ودخلَ الجنّة ويأكل من أطيابها، ويُجالِس إحدى حور العَين بل وتُطعمهُ بنفسها.

لوهلةٍ شعرَ أنَّ حدسهُ حقيقي، ولكنْ سُرعان ما أدركَ أنَّهُ ليسَ بحقيقة، وخاصّة مع كُلّ الألم الذي يشعر بهِ في جُلّ عِظامهِ نتيجة الانفجار.

تمنّى لحظتها حقًّا أنْ يموتَ بينَ يديها.. لتكونَ هي ملاكهُ الحارس للأبد.

الفصل الخامس عشر

ظلَّ (راتب) مُتجمّدًا مكانهُ دونَ حراكٍ لعشر دقائق كاملة بعد ما حدث، لم يعي ويفهم ما الذي حدثَ بالضبط؟

كانَ قد وصل إلى أرضِ الغُرفة مُستخدمًا الحبال، وشاهدَ (بدر) وهو مُنشغل بفحص الجدار المُقابل مُستغرقًا في قراءة القصّة المُدونة عليهِ، وفجاة شعر بصوتٍ يُشبه الشرز الكهربائي، وتَبِعهُ صوت انفجار قوي وموجة ضغط رهيبة، وضوء رهيب انتشر في أرجاءِ الغُرفة بالكامل حتّى أنَّهُ قد أغشى بصرهُ تمامًا، وألقى بهِ الضغط إلى الجدار المقابل واصطدمَ بهِ بعنف وسقطَ أرضًا.

نهضَ من الأرضِ وهو يتأوه من الألم، وظلَّ يُنادي على (بدر) ولكنَّهُ لم يجد إجابة، شعر بالخطر على رفيقِ عُمرهِ وخاصّةً أنَّهُ لم يستطع الرؤية جيّدًا بعد ما حدثَ من سطوعٍ لذلكَ الضوء المُبهر الذي كادَ أنْ يُفقدهُ بصره تمامًا.

حاولَ أنْ يتحرّكَ تجاه الجدار الذي كانَ يتفحصهُ (بدر) وهو يمدّ ذراعيهِ أمامهُ تجنُبًا للاصطدامِ بالمُقتنيات التي بالغُرفة؛ إذ لم يستعد الرؤية بعد.

ولكنَّهُ تعثّرَ بالفعلِ بأحد المُقتنيات الأثريّة الموجودة في أرضيّة الغُرفة وسقطَ أرضًا، وأدركَ أنَّهُ وجبَ عليهِ الانتظار قليلًا كي

يستطيع الرؤية مرّة أُخرى، فجلسَ أرضًا وظلَّ يُنادي على صديقهِ (بدر) ولكنْ بلا مُجيب.

شعرَ بالخطرِ على رفيقهِ وتعالتْ دّقات قلبه قلقًا، وأخيرًا بدأ يستعيد الرؤية جُزئيًا، فتحرّكَ زحفًا على الأرضِ وهو يُحاول ألَّا يتقدّمَ بشيءٍ من مُقتنيات الغُرفة، حتّى وصلَ إلى الجدار المنشود، وظلَّ يبحث عن جسدِ زميلهِ أرضًا ولكنَّهُ لم يعثر لهُ على أدنى أثر، ومع مرور كُلّ دقيقة يزداد اِنفعاله وتوتره.

أخيرًا تمكنَ من الرؤية بشكلٍ شِبه واضح، فاعتدلَ وارتدى المِصباح المُضيء أعلى رأسه وشرعَ في تفتيش الغُرفة جزء جزء ولكنْ دونَ جدوى، فتوقفَ لمُدة مُفكّرًا لا يدري ماذا يفعل؟

وأينَ ذهب صديق عُمره؟

تساقطتْ عَبراته دونَ اِرادته، ظلَّ ينتحب وعقله يكاد يشتعل من التفكير في مصير (بدر)، وتجمَّعتْ الأفكار في رأسه، ماذا سيقول لباقي أعضاء البعثة أو الدكتور

(وهدان)؟

هل يُخبرهم بما حدث؟

لكنَّ هذا سوفَ يجعلهُ مُجبرًا على اِرشادهم إلى هذهِ الغُرفة، كانَ يُفكر في مائة سؤال وسؤال دونَ إجابة.

لم ييأس أبدًا واقتربَ من الجدار الذي كانَ يفحصهُ صديقه قبلَ أنْ يختفي مُباشرةً، ووقفَ ينظر إلى البداية مُحاولًا أنْ يَفهم القصّة من

بدايتها كما فعلَ (بدر)، وبالفعلِ تتبع القصّة من بدايتها حتّى وصلَ إلى الجزء الأخير والإله (آمون) يوجه طرف صولجانهِ إلى رأسِ (إيمونت) المُنحنية أمامه، ولفت نظرة الكرة المُستديرة في نهاية الصولجان، شكلها غريب حقًّا، مدَّ يدهُ ليفحصها وبالفعلِ كانَ ملمسها غريبًا، وشعرَ ببعضِ الشرارات الكهربائيّة قد ظهرتْ على جسمها حينما لامسها، وتذكّرَ صوت الشرز الكهربائي الذي حدثَ قبلَ الانفجار مُباشرةً، و لمعت في رأسهِ خاطرة غريبة، فتحدّثَ مع نفسهِ بصوتٍ مُرتفع وكأنَّهُ يُناقش ذاته فيما توصلَ إليهِ.

- بالتأكيدِ (بدر) مدَّ يدهُ ولمسَ الكُرة فحدثَ الشرر وبعدها الانفجار واختفى، إنْ فعلتُ نفس ما فعلَ (بدر) سوفَ أُلاقي نفس المصير، قد يكون الفناء تمامًا أو أنْ أذهبَ إلى نفسِ المكان الذي ذهبَ إليهِ.

لم يتوانى أو يتأخر في التفكير حينما وصلَ إلى هذهِ النقطة فقامَ مُسرعًا وأمسكَ بالكُرة، وبالفعلِ صدرَ منها شرر كهربائي وتعالى صوت الشرز، وحدثَ ضوء ساطع لكنَّهُ كانَ قد استعدَّ وأغمضَ عينيهِ تمامًا هذهِ المرّة لتلاشي ما حدثَ المرّة الماضية.

وفجأة حدثَ ما توقعهُ انفجار رهيب، أطاحَ بهِ بعيدًا حتّى اصطدمَ مرّة أُخرى بالجدار المُقابل، وقد شعرَ هذهِ المرّة بشيءٍ آخرٍ يندفع معهُ ليصطدما بالجدارِ قبلَ أنْ يسقطا أرضًا.

نهضَ سريعًا ونظرَ تجاه الجسد، وتهللتْ أساريرهُ وهرولَ للجسدِ المُسّجى أمامهُ والذي لم يَكُن سوى (بدر).

كانَ فاقدًا للوعي تمامًا فشرعَ في إفاقتهِ عن طريقِ لطماتٍ بسيطة على وجههِ، ومالَ يستمع لدّقاتِ قلبهِ واطمأنَ أنَّهُ حي، فتابعَ مُحاولات اِفاقته.

وبالفعلِ تأوهَ (بدر) وحرّكَ رأسهُ وهُنا صرخَ (راتب) من الفرحة:

- مرحى يا صديقي.. عودًا حميدًا.

وقامَ بعناقِ رأسهِ برغم عدم إفاقتهِ وعودتهِ لوعيه، لكنَّهُ شعرَ بسعادةٍ غامرة بعودة صديقه مرّة أُخرى.

فتحَ (بدر) عَينيهِ في اِعياءٍ شديد، وظلَّ ينظر حولهُ مُحاولًا أنْ يُدركَ المكان والزمان، وتأوه مرّة أُخرى حينما حاولَ الجلوس، فساعدهُ (راتب) وبالفعلِ اعتدل جالسًا موليًا ظهره إلى الجدار الذي اصطدمَ به.

بدأ يستعيد إدراكهِ ووعيهِ بالفعلِ فنظرَ تجاه (راتب) واتسعتْ عيناهُ وصرخ:

- أينَ أنا؟

ابتسمَ (راتب) وهو يربتْ على كتفهِ مُطمئنًا وقال:

- اطمئن يا صديقي لقد عُدتَ سالمًا، والفضل يعود إلى أفكاري العبقريّة وتحليلاتي المنطقيّة.

ظهرتْ نظرة جذع ورُعب بعَينِ (بدر) وصرخَ وهو يعتدل واقفًا فجأة:

- مستحيل!!

لا، يجب أنْ أعود.

أينَ (إيمونت) لا يُمكن أنْ أتركها هناك،

ليسَ بعد كُلّ هذا أتركها.

ظهرَ الاضطراب على ملامح (راتب) وأسرعَ يقف ويُحاول أنْ يُمسكَ بذراع صديقهِ ويقول لهُ مطمئنًا:

- اهدأ يا (بدر) لقد كُنتَ تحلم بالتأكيد، لا يوجد (إيمونت) ولم تذهب إلى أيّ مكان، كُلّ هذهِ مُجرّد أوهام صوّرها لكَ عقلكَ الباطن أثناء الغيبوبة من شدّةِ الانفجار.

صمتَ (بدر) مُستمعًا لمَا يقول (راتب) وقد ظهرتْ ابتسامة ساخرة على وجههِ وقال:

- لو ما تقولهُ حقيقة وكُلّ ما حدثَ هو أوهام، من أينَ أتتْ هذهِ الثياب التي أرتديها؟

وأينَ ذهبت ثيابي ومُتعلّقاتي التي كنت أرتديها معكَ حينما كُنتُ هُنا معكَ في هذهِ الغُرفة؟!

سقطَ فكّ (راتب) من الذهولِ فبالفعلِ (بدر) كانَ يرتدي ثيابًا فرعونيّة ملكيّة، ليسَ هذا فحسب؛ لكنَّ لحيتهُ كانتْ قد نَمت!

ومن شدّة ذعرهِ ولوعتهِ على صديقِ عُمرهِ لم يُلاحظ كُلّ هذا، فرحته بعودتهِ جعلتهُ لم يُدقق في هذهِ التفاصيل.

رانَ الصمت عليهما لفترةٍ وأخيرًا قطعَ (بدر) هذا الصمت وهو يتجه إلى الجدار الذي حدثَ منهُ الانفجار، وتوقفَ أمام صورة (إيمونت) وسقطتْ من عَينيهِ عَبرة، ومدَّ يدهُ يلمس وجهها المرسوم على الجدار، وغمغم:

- (إيمونت).. يا مُنية الفؤاد.. سوفَ أعودُ إليكِ، أعِدكِ بهذا.

شعرَ بيدِ (راتب) تربت على كتفهِ من الخلف، استدارَ ونظرَ لهُ وتعانقا، وانهمرت عبراتهما معًا تأكيدًا على رباطِ الأخوة بينهما.

واعتدلَ (راتب) ونظرَ في وجه (بدر) وقال:

- ولكنْ أخبرني كيفَ حَدَثَ كُلّ هذا في أقلِ من نصفِ ساعة؟

ابتسمَ (بدر) ومدَّ يدهُ ليمسح دمعهُ المُتساقط ونظرَ في عيني صديقهِ وقال لهُ:

- نصف ساعة!!

لقد عشت معها شهرينِ كاملينِ يا صديقي،

ستونَ يومًا بالتمامِ والكمال.

ستونَ يومًا كُنتُ أنعمُ معها في الفردوس،

واستدارَ ونظرَ تجاه صورتها على الجدار، وتابعَ قائلًا:

- سأُخبرك، سأُخبركَ يا صديقي بكُلّ التفاصيل.

تفاصيل عشقي وحياتي في نعيمِ الجنّة.

وشرعَ يروي ما حدثَ، ومع كلماتهِ تزداد دّقات قلبه وتتسع عيني (راتب) في ذهول، فما يرويهِ صديقهُ مُستحيل الحدوث.. بل هو المُستحيل بذاتهِ!

الفصل السادس عشر

نسماتُ هواء رقيقة تُداعب شعرها، وهي تستند إلى إِحدى الأعمدة الخاصّة بالمعبد المُواجه للجهة الشرقيّة؛ حيثُ تأتي الرياح الصيفيّة المُحمّلة ببرودةٍ تكسر الحرارة في هذا التوقيت، شردتْ بخيالها في الأيّام الماضية مُنذُ قدوم (بدر)، وكيفَ تعلّقَ بهِ قلبها قبلَ عيناها وعقلها، بل كيفَ سلبَ لُبّها، لم تَعِش أبدًا هذا الشعور من قبل، كانَ حُبّهُ يقتلُها شغفًا.

لم تتخيّل أبدًا أنْ تصل إلى هذهِ الدرجة من الحُبّ والتعلُّق بأحد، هي الواهبة رّوحها وجسدها إلى (آمون)، هي بتول المعبد، التي رفضت حياة البشر وفضّلت أنْ تهبَ حياتها إلى إلاهها.

كانتْ أشَّعة القمر الفضيّة تنتشر أمامَ المعبد لترسم صورة رائعة للصحراء في الليل، كُلّ الأمور حولها تُساعدها على الإنغماس أكثر وأكثر في حُبِّهِ.

فجأة، أحسّتْ بوجودِ بدرٍ خلفها، لم تلتفتْ لكنَّها شعرت بروحهِ تقترب منها، كأنَّ الزمانَ نفسهُ قد انكسرَ ليسمحَ لهُما بأنْ يجتمعا!

كانتْ تعرف أنَّ هذا الرجل الغريب الذي جاءَ من زمنٍ آخرٍ هو سبب لعنتها، ولكنَّهُ أيضًا هو كُلّ ما تتوق إليهِ!

بصوتٍ عميقٍ وهادئ، نطقَ (بدر) بلغةٍ فهمتها، وكأنَّ الآلهة نفسها منحتهُ قُدرة اختراق الزمن واللغة.

(إيمونت)، كيفَ يُمكن لقلبي أنْ يتردّدَ بينَ زمنين، وأنْ يجد فيكِ ملجًأ وسلامًا لا أستطيع أنْ أفهمه؟

التفتتْ إليهِ ببطءٍ وعيناها تلمعانِ تحت ضوء القمر، وقلبها يخفق بنبضاتٍ تحمل بينَ صوتها اسمه، كانتْ تعرف أنَّ هذا اللقاء مُستحيل، ولكنْ هُناكَ قوة غامضة أعظم من الزمنِ نفسه تربط بينهما.

تقدّمت نحوهُ بخطواتٍ ثابتة، وبعينيها بريق عشقٍ لم تختبرهُ من قبل، همست بصوتها الناعم الذي يحمل أصداء الأزمان:

- (إيا-رع) أنتَ الحُلم الذي لم أَكُن أعلم بأنَّني أحملهُ في قلبي، لقد جئتَ من عالمٍ لا أفهمه، ولكنَّ رّوحكَ تتحدّث إلى رّوحي بلغةٍ أبديّة. أليسَ هذا ما أرادهُ (آمون)؟

أنْ أعيشَ هذا العشق المُستحيل، وأنْ يتخلّلني كما يتخلّل النهر اليابسة.

مدَّ (بدر) يدهُ بلُطفٍ نحوَ وجهها، وعندما لامسَ خُصلات شعرها الداكنة، شعرَ وكأنَّهُ يُعانقُ التاريخ نفسه!

كانتْ لمسة ناعمة، ولكنَّها حملتْ في طيّاتها شوق آلاف السنين.

أجابتْ عَينيهِ عن السؤالِ الذي لطالما دارَ في عقله.

- كيفَ يُمكنُ لحُبٍّ أنْ يكونَ محكومًا بالزمن، لكنَّهُ يتخطّى كُلّ الحدود؟!

(إيمونت)، أنا لستُ من هذا الزمن، ولا من هذا المكان، لكنَّ قلبي مُنذُ اللحظة التي رآكِ فيها عَلِمَ أنَّني خُلقتُ من أجلكِ، لقد كُتبتِ على رّوحي مُنذُ البداية، وأنا لا أملك الهرب من قدري.

اقتربتْ (إيمونت) أكثر حتّى صارتْ بينَ يديه، تنظر إلى وجههِ بعُمقٍ وكأنَّها تُحاول أنْ تنحت كُلّ تفاصيله بقلبها.

قالت وهي تشعر بكُلّ كلمة من كلماتهِ تتسرب إلى أعماقها:

- (آمون) قد لعنني بحُبّك، لكنْ كيفَ يُمكن للعنة أنْ تكونَ بهذا الجمال؟!

كيفَ يُمكنُ للقدرِ أنْ يجمعَ بينَ روحينِ رغم كُلّ شيء؟

أنتَ لستَ لي وأنا لستُ لك، اعلم هذا جيّدًا، فقد وعدني (آمون) أنْ ترحلَ وتعود، ولكنْ في هذهِ اللحظة نَحنُ كُلّ شيءٍ لبعضنا.

لم يتحدّث (بدر)، فقط اقترب منها أكثر، ليضعَ جبينهُ على جبينها، وكأنَّهما يتشاركانِ نفس الهواء، نفس الرّوح.

في هذهِ اللحظة تلاشتْ الأزمنة، لم يعُد هُناكَ فرقٌ بينَ الماضي والحاضر، كُلّ ما كانَ موجودًا هو هذهِ اللحظة؛ حيثُ التقت روحهما كما تلتقي الأمواج بالشاطئ،

بلا حواجزٍ أولا قيود.

همسَ (بدر) في أُذنها، وصوته يحمل دفء مشاعره:

- لو كُنتُ أملك القوة، لكُنتُ مزّقت الزمن لأبقى معكِ، ولكنْ حتّى لو فرّقنا الزمن، سيبقى هذا الحُبّ محفورًا فيَّ إلى الأبد، لن تكوني لي،

ولن أكونَ لكِ، لكنَّ هذا العشق سيظلّ يسري بدّمي كما يسري النيل في أرضِ مصر.

أغمضتْ (إيمونت) عينيها وشعرت بعبراتٍ تملأهُما، لكنَّها لم تَكُن عبرات حُزن، بل هي عبراتُ شوقٍ وامتنانٍ لهذا الحُبّ الذي تجسّدَ أمامها رغم المُستحيل.

قالت بصوتٍ مملوءٍ بالحُزن:

- (إيا-رع) حتّى لو افترقنا في هذهِ الحياة، سأنتظركَ في كُلِّ زمانٍ ومكان، حُبّكَ سيظلّ لعنتي، ولكنَّهُ أيضًا بركتي، قد لا أستطيع لمسكَ مرّةً أُخرى، لكنَّ رّوحي ستظلّ تُلاحقكَ حتّى نهاية العصور.

في هذهِ اللحظة عانقها (بدر) عِناقًا هادئًا ومُفعمًا بالحنين، وكأنَّهما يُحاولانِ تخليد هذهِ اللحظة التي تعني لهُما كُلّ شيء.

ظلَّا في عِناقٍ حتّى تكاد تشعر أنَّهُما سارا جسدًا واحدًا

أو تمثالًا إغريقيًّا يُمثّل قوة العاطفة!

التحما جسديًّا وتعانقا رّوحيًّا.

- معذرةً سيّدتي.

أفاقا من نشوةِ حُبِّهما على هذهِ الجُملة، والتفتا

إلى صاحبتها التي لم تَكُن سوى (ميريت-كا) تقف مُنحنية اعتذارًا عن المُقاطعة.

اقتربتْ منها (إيمونت) وضعتْ يدها على رأسها لتُشيرَ لها بالاعتدال وقالت:

- أخبريني، ماذا هُناك؟

اعتدلت (ميريت-كا) وأجابتها:

- لقد وصلت ملابس الرّجال التي أرسلتِ في طلبها من أجلِ الغريب.

التفتت (إيمونت) إلى بدرٍ وهي تبتسم وتقول في سعادة:

- لقد أتتْ الملابس التى طلبتها من أجلك، كي تستطيع أنْ تظهر في كُلِّ مكانٍ بينَ عامّة النّاس، دونَ أنْ تلفت هذهِ

الملابس الغريبة نظرهم إليك.

أنهتْ حديثها وهي تُمسكُ بيدهِ وتتحرّك باتجاه غرفتها داخل المعبد دونَ أنْ تنتظر منهُ الردّ ولو بكلمةٍ واحدة.

بمُجرّدِ أنْ دلفَ الغُرفة حتّى وجدَ مجموعة من الملابس الصيفيّة المصنوعة من الكتّانِ المصري الطبيعي، ملابس رّجال تُغطي الجذع والأكتافِ أيضًا بيضاء اللون.

ابتسمتْ لهُ (إيمونت) وخرجت من الغُرفة وأغلقت الباب خلفها، ليُبدّلَ ثيابهُ بهذهِ الملابس.

أمسكَ الملابس بينَ يديهِ وفجأة سقطَ في نوبةٍ من الضحكِ الغير مُبرر؛ فلم يتخيّل أبدًا أنْ يصيرَ واحدًا من المصريينَ القُدماء، الذّينَ كانوا محلّ دراستهِ وعشقه.. أصبحَ مصريًّا قديمًا بكُلّ جدارة.

وأخيرًا أمسكَ الملابس وشرعَ في تغيير ملابسهِ التي يرتديها بهذهِ الملابس، شعرَ بالإحراجِ في بدايةِ الأمر؛ لعدمِ اعتيادهِ عليها، ولكنْ مع الوقت شعر بالراحة واعتادَ الأمر.

مرّتْ الأيَّام بمُنتهى السعادة بينهُ وبينَ (إيمونت)، شعرَ خلالها أنَّهُ يحيا في حُلمٍ جميلٍ لا يُريدُ أنْ يَفيقَ منهُ أبدًا.

حاولَ أنْ يُخلّدَ هذهِ الذكريات بينهما، فاستخدمَ هاتفهُ المحمول الذي كانَ معهُ عند انتقالهِ لهذا الزمن، بالطبعِ

لا يوجد أيّ نوعٍ من الشبكات، ولكنَّهُ استخدمهُ ككاميرا لتوثيق كُلّ اللحظات بينهما، ثُمَّ أغلقهُ بعدها ليُحافظَ على شحن البطارية لأطول فترة ممكنة.

في إحدى المرّات التي كانَ جالسًا فيها أمامَ بوابة المعبد، شاهدَ جموع الشعب الجائع قادمة تجاه المعبد لمُناجاةِ (آمون)؛ ليُنهي هذهِ المجاعة ويرحم عبيدهُ من الموتِ جوعًا. خطرت لهُ فكرة أنَّهُ يُمكنهُ أنْ يستغلَّ عِلمهِ والتكنولوجيا ليُساعدَ الشعب الفقير.

وبالفعلِ أخرجَ هاتفهُ المحمول، وشرعَ يفتح تطبيق الموسوعة الذي كانَ قد ثبّتهُ مُسبقًا ليقرأ فيهِ أثناء فترات السفر، أو الليالي التي يقضيها في البعثاتِ الاستكشافيّة.

مرّتْ أكثر من ساعةٍ كاملة وهو يتجوّل بينَ صفحات هذهِ الموسوعة العِلميّة، وطوال هذهِ الفترة كانتْ (إيمونت) تقفَ خلفه دونَ أنْ يشعرَ بها أو بوجودها.

أخذتْ تنظر لهُ في تعجُبٍ؛ إذ لا تستطيع أنْ تفهمَ ماذا يفعل بهذا الشيء الذي بيدهِ؟

وفجأةً صرخ:

- وجدتُها!

وأسرعَ بالنهوضِ من جِلستهِ فوجدها أمامهُ تنظر لهُ بتعجُبٍ.

أمسكها من ذراعيها في سعادةٍ وهو يقول:

- يجب أنْ أُقابلَ الفرعون.

يجب أنْ أُقابلَ (منتوحُتب الثاني).

اتسعتْ عيناها في دهشةٍ حينما ذكرَ اسم الملك القائد، وسألتهُ في تعجُبٍ:

- (إيا-رع) لا يُمكنُ لأحدٍ من العوامِ أنْ يُقابلهُ،

لماذا تُريد مُقابلته؟

أجابها وهو يبتسم:

- أُريدُ إخباره بأنَّني أستطيع انتشال البلاد من هذهِ المجاعة.

وصمتَ قليلًا وتابع:

- بفضلِ اللَّهِ _سُبحانَهُ وتعالى_ وبفضلِ العلوم المُستقبليّة يُمكنُني أنْ أُساعدَ هذا الشعب الجائع وفي فترةٍ قصيرة جدًّا.

قالها وقد ظهرَ بعَينيهِ بريق مُختلف.. بريق التحدّي، ولكنَّها رأتْ فيهما بريق الفوز، بريق الأمل.

الفصل السابع عشر

انحنوا.. أنتُم في حضرةِ الإله المُعظّم (منتوحُتب الثاني).

انطلقَ هذا النداء بصوتٍ جَهوري عظيم داخل البلاط الملكي الخاصّ بالملك (منتوحُتب الثاني)، فخرَّ الجميع ساجدين عدا (بدر) الذي انحنى فقط احترامًا، فهو لا يسجد إلَّا للَّهِ سُبحانَهُ وتعالى، لكنَّ (إيمونت) أمسكتْ بهِ سريعًا وجذبتهُ من يدهِ فجثى على رُكبةٍ واحدةٍ فقط.

تقدَّمَ الموكب الملكي العظيم، فرفعَ (بدر) رأسهُ قليلًا ليُشاهدَ هذا المشهد، الذي لا يُمكن لأحدٍ أنْ يُشاهدهُ في حياتهِ تقريبًا.

ارتفعتْ أصوات الطبول وزُيِّنَت أروقة البلاط الملكي بأزهارِ اللوتس وأكاليل النخيل.

كانَ الجوّ مهيبًا يعكس هيبة الملك (منتوحُتب الثاني) الذي يظهر لأوّل مرّة أمامَ حاشيتهِ في هذا اليوم على كُرسيّ العرش.

أربعةٌ من الرّجال ضخام البنية، بملامحٍ صارمة وبشرةٍ سمراء تلمع تحتَ أشَّعة الشَّمس، يحملونَ الكُرسيّ بخطواتٍ ثابتة وتوافق تامّ.

عضلاتهم المشدودة بارزة من تحتِ ثيابهم البيضاء، بينما تتصبّب جباههم عرقًا من ثِقلِ العرش، الذي يتألق بزخارفٍ ذهبيّة ونقوشٍ دقيقة تحكي أمجاد الملك العظيم في السيطرة مرّة أُخرى على مقاليد البلاد من الشّمال إلى الجنوب.

الجموع تنتظر بترقُّبٍ ووقار، عيونهم شاخصة نحوَ الملك الذي جلسَ باعتزاز، تاجهُ اللامع يُزيّن رأسه، وملابسه الملكيّة الفاخرة تتدلى برُقيٍّ على جانبي الكُرسيّ.

كانَ (منتوحُتب الثاني) في عظمتهِ وكبريائهِ ينظر إلى حاشيتهِ بنظرةٍ تحملُ مزيجًا من الرحمة والحزم، وكأنَّما هو إلهٌ حيّ يُجسّد قوة مصر العظيمة.

يحمل بيدهِ المُتقاطعة أمامَ صدرهِ عصى الراعي والمذبة؛ كانتْ عصى الراعي رمزًا للملكيّة و المذبة لخصوبة الأرض، كانَ مشهدًا مهيبًا يخطف الألباب قبلَ الأبصار .

تقدّمَ الرّجال الأربعة بخطواتٍ بطيئة واثقة، وعندما وصلوا إلى قلبِ القاعة، توقفوا في انسجامٍ تامٍّ ثُمَّ انحنوا برفقٍ وهُم ينزلون العرش الملكي بتؤدةٍ ووقار.

استقرّ العرش بثباتٍ على الأرض، وقد خفّفَ الرّجال قبضاتهم عنهُ بحرصٍ وكأنَّهم يضعونَ شيئًا مُقدّسًا ثمينًا.

بمُجرّدِ أنْ استقرّ العرش، هرعتْ الحاشية الملكيّة من الوزراء والكهنة ورّجال الدولة، مُحيطينَ بالملكِ في دائرةٍ تُشبه حلقة مُتكاملة، كُلٌّ منهم ينحني أمامَ الملك، رؤوسهم مُنخفضة وعيونهم مُوجهة إلى الأرض، يُظهرون احترامهم العميق وولائهم المُطلق وبصوتٍ خفيضٍ لكنَّهُ مُفعم بالرهبة.

بدأت أصوات الكهنة تتعالى تتقدّمهم (إيمونت)، التي تحرّكتْ بخفّةِ قطٍّ بريٍّ دونَ أنْ يشعرَ بها (بدر) أنَّها قد اختفتْ من جوارهِ وتقدّمت الكهنة باعتبارها كبيرة كهنة (آمون)، وتعالتْ أصواتهم بأدعيةٍ وتسبيحٍ تمجيدًا للملكِ (منتوحُتب الثاني)، رمز السُلطة الإلهيّة على الأرض.

في تلكَ الأثناء بسطَ الملك يدهُ اليُمنى بهدوء، في إشارةٍ لبداية حديثهِ الملكي، ليلف المكان سكون تامّ، حيثُ الأنفاس قد حُبيست انتظارًا لما سيقولهُ الملك، والذي يُجسّد الحكمة والقوة، جالسًا على عرشهِ بكُلِّ شموخ.

وأخيرًا تراجعَ الجميع إلى أطرافِ الدائرة المُحيطة بكرسيّ العرش الملكي، وتقدّمَ وزير الملك وانحنى وانتظرَ إشارة البدء من (منتوحُتب الثاني)، وبالفعلِ وبعدما أشارَ لهُ بطرفِ عصى الراعي وهو يَهُزّ رأسه لهُ بالمُوافقة، اعتدلَ الوزير وتقدّمَ من كُرسيّ العرش وقال:

- مولاي وإلهي المُعظّم (منتوحُتب الثاني)، حامل الأمن والاستقرار والرخاء لأرضِ (كيمت)، ظِلّ (آمون) على الأرض، الذي أعادَ مجد الأجداد، الذي سُمّيَ من قِبلِ الإله (نب-حابت -رع)؛ أي الذي أدارَ دفّة رع وأعادَ توجيهها، الذي حلّتْ بهِ رّوح جدّنا المُعظّم (نعر-مر) فاستطاع أنْ يُوّحد كُلّ القبائل والأقطار تحتَ صولجان مُلكه، لكنَّ الإلهَ أرادَ أنْ يختبرَ حِكمتهُ فمرّتْ البلاد

بفترةِ برودة وصقيعٍ منعَ خروج خيرات الأرض، وبفضلِ صلوات الشعب أرسلَ الإله هذا الغريب من بلادٍ بعيدة؛ ليكونَ تحتَ اِمرة جلالتكم، ويضرب بيدهِ الأرض لتُخرِجَ ما بها من خيراتٍ لشعبِ (كيميت) العظيم.

قالها وهو يُشيرُ بيدهِ تجاه (بدر)، الذي كانَ مُنصتًا يُحاولُ أنْ يُركزَ فيما يُقال ليفهَم، وهُنا تحرّكتْ (إيمونت) وأمسكتْ بمِعصمهِ وأوقفته، وهي تجذبهُ بلُطفٍ تجاه العرش الملكي، وتُخفض رأسها في ولاءٍ وطاعة وأشارتْ لبدر أنْ يتقدّم.

فجأة وجدَ (بدر) نفسهُ يقف بوسطِ البلاط الملكي، ولأوّل مرّة في حياتهِ يشعر بالرهبة والخوف، ازدردَ لُعابهُ وتقدّمَ خطوة للأمام، وانحنى بجذعهِ احترامًا وتقديرًا لهذهِ الشخصيّة التاريخيّة العظيمة، التي يقف أمامها، وبدأ بالحديثِ مُحاولًا أنْ ينتقي الكلمات التي تُعبّر عن ما يجول برأسهِ بأصّحِ تعابيرٍ مُمكنة.

- مولاي العظيم، سيّد كُلّ الأرض والأقطار، محبوب اللَّه، حامي المصريين في كُلِّ ربوع (كيمت) العظيمة، لقد أرسلني الإله؛ كي أُشيرَ إلى عظمتكم بحلٍّ لخروجِ خيرات

الأرض في وقتٍ قصير، ولكنْ بالطبعِ أحتاج إلى مُباركتكم وإرشادكم.

أنهى حديثهُ وصمتَ في انتظار الأوامر الملكيّة، ولم يطلّ انتظاره كثيرًا فقد وقفَ الملك (منتوحُتب الثاني) من على كرسيّ عرشهِ ممّا جعل الجمع ينحني احترامًا وهو ما قامَ بهِ (بدر) أيضًا، وتقدّمَ الملك

من (بدر) وتعالتْ دّقات قلب الأخير من الانفعال، وتوقفَ الملك أمامهُ مُباشرةً وقامَ بوضعِ عصى الراعي على كتفهِ، وتحدّثَ بصوتٍ حازمٍ لهُ قوة ومهابة تُذيب أشدّ الرّجال قوة أمامه:

- لكَ ما تُريد، ولكنْ لتعلم بأنَّهُ إنْ لم تنجح فيما تنوي أنْ تفعل فسوفَ تنال أشدّ عقاب، سوفَ تُصلب وتُعلّق أعلى عمود مدخل معبد الإله (آمون)؛ كي تأكُلُ الطيرُ من رأسك.

سرتْ قشعريرة باردة في أوصالِ (بدر) عندما أنهى (منتوحُتب الثاني) عبارته.

تابعَ الملك حديثهُ قائلًا:

- وإنْ نجحتَ فلكَ مفاتيح خزائن الأرض جميعًا، ليسَ هذا فحسب، ولكنَّني سأُقيمكَ على كُلّ خيرات أرض (كيمت) تهب مَن تشاء وتنزع ممّن تشاء!

سادَ صمتٌ رهيب بعدَ أنْ أنهى (منتوحُتب الثاني) حديثه، فانحنى (بدر) احترامًا وقالَ بصوتٍ واثقٍ ولهجةٍ حازمة:

- أنا لها بإذن اللَّه، ثُمَّ تعالتْ دّقات قلبهِ بشدّة،

ومن خلفهِ (إيمونت) تقف وترتجف من خوفها على حبيبِ عُمرها، ويخفق قلبها في دُعاءٍ، دُعاء صامت.. دُعاء حبيب لحبيبه.

الفصل الثامن عشر

وقفَ (بدر) أعلى تلكَ المصطبة التي تُصنع خصّيصًا للإشرافِ على العُمّالِ في مصر القديمة؛ لتسمحَ للمُشرفِ أو المُراقب أنْ يُشاهدَ حركة العمل والعُمّال بالكامل.

كانَ يُشاهد العُمّال وهُم يتحرّكونَ كَخليةِ النّحل، وقد قفَ بجوارهِ مُساعده (رخ- مي-رع)، الذي انبهرَ بما يحدث ولكنَّهُ لم يَفهم ما يحدث، فانحنى احترامًا لبدر وهو يقول:

- (إيا-رع) العظيم، اِسمح لي أنْ أسأل وأُحاول أنْ أفهم ما يدور في رأسك، وما كُلّ هذهِ الكميّة من الرّمال الغريبة، التي طلبت إحضارها من أرضِ (ديشري) على وجهِ السُرعة.

التفتَ إليهِ (بدر) وابتسمَ وقال:

سوفَ أشرح لكَ يا (رخ-مي-رع) لقد طلبت نوعًا بِعينهِ من الرّمال، مشهور بنقائهِ الكبير وهو رمل (السيليكا)، وهو لا يُوجد إلَّا في سيناء أو (ديشري) كما تُطلقونَ عليها، وبعدَ أنْ قامَ العُمّال ببناء تنّورٍ عملاقٍ لإذابة هذهِ الرّمال فيهِ، مع اِضافة (كربونات الصوديوم) التي صنعتها بإضافةِ أملاح البحار إلى (حمضِ الكبريتيك)، لأجلِ أنْ أصنعَ منها زجاج نقي جدًّا وشفّاف، يتمّ صبّهِ على هذا المِسْطَح من الجرانيت اللامع، ويُترَك ليبرد لتتشكلَ منهُ ألواح زجاجيّة كبيرة شفافة ونقيّة.

حاولَ أنْ يشرحَ الأمر بطريقةٍ بسيطة إلى مُساعدهِ وبأسلوبٍ يُمكنهُ فَهمه، وتفاجأ بالفعلِ أنَّ المُساعد (رخ-مي-رع) قد نجحَ في فَهمِ شرحه، وأثناء حديثهِ معهُ ومُتابعة العمل فوجئ بمُساعدهِ يسجد أرضًا، فنظرَ خلفهُ فوجدَ (إيمونت) قادمة ترتدي زيّها الأحمر الذي يجعلها أشبه بملكةٍ على الكون، وخاصّةً مع تاجها الذهبي الذي يُزيّن رأسها، وخلفها فتاتينِ من خُدّامِ المعبد، إحداهُما تحمل سلّة طعام، والأُخرى تحمل مِظلّة مصنوعة من ريش الطاووس؛ لتحمي (إيمونت) من وهجِ الشَّمس.

خرَّ كُلّ مَن في الموقعِ ساجدًا احترامًا وإجلالًا لكبيرةِ كهنة (آمون)، صعدتْ بخطوات رشيقة إلى المصطبة وكانتْ في انتظارها يد بدرٍ تُساعدها على الصعود، ابتسمتْ وأمسكتْ بذراعهِ وتعلّقتْ بهِ كَمَن يُمسِكُ بحُلمِ حياتهِ ولا يتخلّى عنهُ أبدًا.

اقتربتْ من أُذنهِ هامسةً:

- اشتقتُ إليك.

نظرَ في عينيها، شعر بانعدامِ الوزن كَمَن حَلّقَ في الفضاء، لا يُمكن أنْ تكونَ هذهِ الملامح لإنسان، لا بُدَّ أنَّها طَيف أو كائن مصنوع من الضوء لا تستطيع لمسه!

ابتعدتْ قليلًا كي لا يشعر أحد من العوامّ بحبّهما؛ فهي بتولُ الإله، هي العذراءُ للأبد، ليسَ لها الحقّ في الحُبِّ والحياة، حياتها وقلبها

وجسدها مِلكٌ لربّها فقط (آمون)، الذي لعنها بهذا الحُبّ، أرادَ أنْ يضعها بينَ شِقي الرحى.

خرجتْ من أفكارها سريعًا وأشارتْ لمُساعدتها بأنْ تفتحَ سلّة الطعام وتُقدّم لبدر.

كانتْ السلّة تحتوي على بعضِ أرغفةِ الخُبز وبعض الفاكهة من عطايا المعبد، أمسكَ (بدر) بقطعةِ خُبزٍ وأخذَ السلّة من يدِ الفتاة وأعطاها إلى (رخ-مي-رع)، وأمرهُ بأنْ يُعطي العُمّال هذا الطعام؛ إذ كانَ يُدرك جيّدًا حال الشعب كُلّه، وأنَّ أغلبهم يموتونَ جوعًا!

أخذَ مُساعدهُ السلّة وأسرعَ في تنفيذِ الأمر، ووقف هو بجوارِ (إيمونت) يُراقب فرحة العُمّال بالطعام، ممّا جعلها تُمسكُ بذراعهِ وتضغط عليها في حنان، ونظرتْ إلى وجههِ فلم ترى في حياتها أحد في وسامتهِ وجماله،

لا بُدَّ أنَّ (إيزيس) و(حتحور) قد أعطياهُ من جمالهما هبة لا تُردّ؛ فأصبحَ مُمثّل إله الجمال بينَ البشر.

نظرَ لها فوجدها هائمة في وجههِ فابتسمَ لها ابتسامة كادتْ أنْ تُفقدها وعيها، فحاولتْ أنْ تتماسك وأشارتْ إلى العُمّال وما أنجزوهُ من ألواحٍ زجاجيّة عملاقة وسألتهُ بانبهار:

- ماذا تنوي أنْ تفعلَ بكُلّ هذهِ الألواح الزجاجيّة؟

كانَ يُدرك مدى ذكائها وعبقريتها ورجاحة عقلها، فقرّرَ أنْ يشرحَ لها وهو يُراهن على أنَّها سوفَ تُدرك الأمرِ دونَ عناء.

- سنُشيّدُ بيوتات من هذهِ الألواح الزجاجيّة، ستكون كُلّ جهاتها من الزجاج، وسأترُك بها فُتحة لدخولِ الهواء وأُخرى لخروجهِ ليتجدّد الهواء.

وسوفَ نقوم بالزراعة داخل تلكَ البيوت الزجاجيّة، وفي البداية سنقوم بزراعةِ نوعينِ فقط لزيادة سُرعةِ النمو

والحصاد، وهُما (أبو) و(قاح).

قاصِدًا بهما (الخسّ) و(الخيار)، لكنَّهُ أخبرها بالأسماءِ التي تعرفها بلُغتها المصريّة القديمة وتابعَ الشرح:

- تلكَ البيوت الزجاجيّة سوفَ تُسّرع من نمو النباتات، وكذا زراعة أيّ نبات في الأجواء الباردة، وبالنسبةِ للمحصولينِ الزراعيينِ (أبو) و(قاح) فإنَّ فترة زراعتهما لن تتخطّى الشهر، ومع بعضِ الأسمدة التي سوفَ نصنعها من بقايا

الفضلات الحيوانيّة والبشريّة مع قشورِ البيض، سوفَ نُسّرع عمليّة النمو وندّخر وقتًا طويلًا ، وبمُجرّد أنْ ننجحَ في هذا المكان، وبعدَ أنْ يحفرَ العُمّال قناة من مجرى النيل القريب إلى هُنا، سوفَ نُعمّم تلكَ البيوتات الزجاجيّة في كُلِّ ربوع مصر.

نظرتْ لهُ في انبهارٍ بما يقول، فما يقولهُ بالنسبةِ لها وللمصريينَ مُعجزة، بل وأمور خارقة لا عِلمَ لهم بها في ذلكَ الوقت، فتابعتْ أسئلتها لهُ:

- ولماذا (أبو) و(قاح) بعيدانِ عن المُدّة الزمنيّة؟

اتسعتْ ابتسامتهِ مع أسئلتها؛ إذ يُدرك جيّدًا أنَّها تتمتّع بعقلٍ مُختلفٍ فأجابها:

- لوفرةِ الماء والألياف بهما، كما أنَّهما صالحينِ لغذاء الإنسان وكذا الحيوانات، وسنقوم بزراعة جُلّ المحاصيل فيما بعد، عندما نقوم بإشباعِ هذهِ الجموع أوّلًا، وسنزرع (أت)

و(نبت) و(دب).

قاصِدًا إخبارها بمحاصيل (القمح) و(الشعير) و(العدس)؛ إذ كانتْ هذهِ هي المحاصيل الأساسيّة في حياةِ المواطن المصري القديم، وكذا نبات (الذرة) ولكنْ هو يُفضّل في البداية أنْ يقومَ بزراعة النباتات التي تأخذ فترة

قصيرة نسبيًّا.

كانَ يُدرك صعوبة الأمر، ولكنَّهُ على ثِقةٍ بمهارة المصريين القُدماء وصبرهم، ومُثابرتهم على العمل وتحمُّل الصعاب.

اقتربتْ منهُ ووقفت أمامه، وأمسكتْ بذراعيهِ وقالت بحنانٍ:

- أنا أثق بك.

أثق أنَّ (آمون) أرسلكَ في هذا الوقت، إجابةً لدُعائي لهُ بأنْ يرحمَ الشعب، لكنَّهُ قرّرَ أنْ يُعاقبني بنفسِ سبيل الرحمة،

فالخير والسعادة للشعب هي شقاءٌ لقلبي.

وارتمتْ برأسها على صدرهِ وسقطتْ عبرة حبيسة من مُقلتيها، وتابعتْ بصوتٍ مُتهدج:

- لكنَّني أتقبّلُ كُلّ هذا بصدرٍ رحبٍ ونفسٍ راضية.

أقبلُ بكَ حتّى وإنْ كُنتَ أنتَ نيران جحيمي، أقبلُ أنْ أُلقي بنفسي بينَ أحضانك.

ضمّها بينَ ذراعيه، ولكنَّهُ لم يستطيع أنْ يتكلّم، شعرَ بغصّةٍ تسري بحلقهِ منعتهُ من التكلُّمِ.

كانتْ كلماتها كَالسيفِ تجذُّ في نفسهِ جذًّا، شعرَ بدمعةٍ حبيسة أبتْ أنْ تستقرَّ في مكانها، وسقطتْ على رأسها لتسكُنَ بينَ خُصلات شعرها، تُريدُ أنْ تقضي لحظاتها

الأخيرة بينَ ثنايا جسدها وخلاياها.

وتوقفَ الزمن طويلًا، فبعدَ أنْ هزمَ الحُبّ قوّتهُ، عادَ مرّة أُخرى؛ ليُعلِنَ أنَّهُ لا يُهزم أبدًا!

الفصل التاسع عشر

أسفل أعمدة القاعة الكُبرى المُزخرفة برموزِ الآلهة وأساطير الأجداد، كانتْ الأضواء تتلاعب على المشاعل في أرجاءِ قصر الفرعون، انعكاسًا لهالةِ عظمة وجلال لم يعرفها الزمان.

في هذهِ القاعة العظيمة جلسَ (منتوحُتب الثاني) على عرشهِ الذهبي المُتوّج برموزِ القُوى الكونيّة، وعلى رأسهِ تاج مصر المزدوج، تجلّتْ منهُ عظمة الملوك وحِكمة الأجداد.

وعلى جانبي القاعة، كانَ كبار رّجال الدولة والحُكماء يقفونَ بوقارٍ وصمت، أعينهم مُتجهة نحوَ مليكهم، مُحاطينَ برائحةِ البخور المُقدّس الممزوجة بأصداء الأصواتِ الهادئة للمُتعبّدينَ في المعبدِ المُجاور.

وسط هذهِ الأجواء، وُضِعَ سُلّمٌ عظيم من الدرجات الصخريّة، وفي نهايتهِ صعدَ (بدر) ، بملامحهِ التي تُذكّر الحاضرين بعظمةِ الإلهِ وبديعِ خلقه.

وقفَ أمامَ الملك مُطأطِئ الرأس احترامًا، لكنَّهُ مُفعم بالثقة والشموخ، وخاصّةً بعدَ نجاحهِ في إطعامِ الآلاف من البشر بوقتٍ وجيز، وقد نفّذَ ما وعدَ بهِ الفرعون.

كانتْ (إيمونت) كبيرة كهنة (آمون) التي ينحنى لها الجميع احترامًا، تقف تتأمل وتنظر إلى (بدر) بنظراتٍ جمعت بينَ الحُبّ والافتتان.

أعيُنهُما تتلاقى بينَ الحينِ والآخر، رغم جلال الموقف وصرامته.

شعرتْ (إيمونت) أنَّ قلبها ينبض بشدّة في حضوره، وكأنَّ الزمانَ والمكان قد تلاشيا من حولهما، ولم يتبّقى سوى نظرات العشق الخفيّة التي لم يستطع أحد أنْ يراها سوى قلبيهما.

رفعَ (منتوحُتب الثاني) يدهُ بإشارةٍ هادئة، فعمَّ الصمت جميع الحاضرين.

تقدَّمَ إلى تمثال ذهبي في مُنتصفِ القاعة يُمثّل الإله (آمون)، وتوقفَ أمامهُ وانحنى في احترامٍ وخشوع، ورفعَ يدهُ التي تحمل مزبة الحُكم ووضعها على كتفِ التمثال، اِشارة إلى أنَّهُ يستمدّ منهُ قوة حِكمته، وبعدها أمسكَ بعض الحصوات من البخورِ وألقى بها في الجمراتِ المُشتعلة أسفل أقدام التمثال، وبصوتٍ عميقٍ قويٍّ نطقَ مُخاطبًا الجميع ومُعلِنًا:

- أيُّها الرّجال المُخلِصون، هذا الغريب الذي أتى إلينا من أرضٍ لم نعرفها، والذي أتى بأفكارٍ أوحتها لهُ الآلهة لإنقاذِ شعب (كيمت) العظيم، يحملُ في عقلهِ وقلبهِ أسرار العِلم

والحِكمة.

إنَّني (منتوحُتب الثاني) فرعون مصر العظيم، ومُمثّل الإله (آمون) على الأرض، أُكرّمهُ بتعيينهِ وزيرًا لحُكمِ مصر كُلّها، وأمينًا على خزائنها؛ ليحمي الأرض من الفقرِ والجدب، وليجعل الخير يعمّ أرجائها.

امتلأتْ القاعة بهتافاتِ تقديرٍ واحترامٍ من الحاضرين، تقدّمَ (بدر) بضع خطواتٍ نحوَ الفرعون، بعدَ أنْ هبطَ من المنّصة التي كانَ يعتليها لتراهُ الجموع، حيثُ قدَّمَ لهُ الفرعون رمز السُلطة والكرامة، خاتمًا منقوشًا بآياتِ الأبديّة.

بدأ (بدر) مُستعدًّا لمَهمتهِ العظيمة، ونظرته مليئة بالعزمِ

والتفاني، وفي الوقت ذاتهِ التقت عيناهُ بعيني (إيمونت) مُجدّدًا، وكأنَّ لسان حاله يقول:

- أنتِ دافعي، ووجودكِ يجعلني أقوى.

ظلّت (إيمونت) تراقب هذا المشهد، والشعور بالعظمة

والافتخار يغمر قلبها، لكنَّها كانتْ تعرف أنَّ حُبّها لهذا الرجل لن يكونَ سهلًا، فقد صارَ الآن مَحطّ أنظار الجميع، ورجلاً يحكم خزائن مصر ويقود شعبها، كانتْ تعلم المصير المحتوم لقلبها من ألمِ الفِراق ولوعة الاشتياق، والعذاب

الأبدي الذي قد حُكِمَ عليها بهِ، ورغم كُلّ هذا لم تتراجع عن حبّها، كانتْ تسير بخطواتٍ ثابتة تجاه لعنتها الأبديّة، كَشاةٍ تُساقُ إلى الذبحِ بكاملِ إرادتها!

انتهت مراسم الاحتفال والتتويج وغادرَ الفرعون القاعة، ومن خلفهِ غادرَ الجميع عدا (بدر) و(إيمونت)، وفتاتينِ من خُدّامِ المعبدِ لخدمتها وتلبية احتياجاتها.

تقدّمَ (بدر) منها، وقفَ أمامها وأمسكَ بذراعيها الرقيقتين، ونظرَ في عينيها وكأنَّهُ يراهما لأوّلِ مرّة.

- هل حقًّا أنا هُنا؟

أليسَ كُلّ هذا مُجرّد حلم؟

تحرّكَ للخلفِ خطوة وأخذَ يجول بنظرهِ في كُلِّ ما حولهُ وتابعَ قائلًا:

- في عشيّةٍ وضُحاها أصبحتُ أهمّ شخصٍ في أرضِ مصر، بل وحامِل الخير لها، ومُنقذ شعبها من المجاعةِ والموت.

عادَ ونظرَ إليها وقالَ هامسًا:

- ليسَ هذا فحسب؛ بل قد أحببتُ أجمل وأرق وأذكى فتاة في الكون، فتاة سُطِرَ في تخليدِ اسمها صفحات وصفحات من التاريخ.

كانتْ تنظر إلى وجههِ وتُنصتْ إلى كلماتهِ التي سلبتها لُبّها وخفقَ لها قلبها، وانهمرت عبرات حبيسة عندما ذكرَ حُبّهِ لها.

تقدَّمَ منها واحتواها بينَ ذراعيه، فأجهشت في البُكاء بصمتٍ أذابَ ما تبّقى من تمسُاكهِ.

رفعتْ رأسها المدفونة بصدرهِ ونظرتْ في وجههِ وهمستْ:

- أعلمُ أنَّ الفِراقَ نصيبنا، لكنَّني أعلمُ أنَّ اللحظةَ معكَ هي عُمر الخلود، فلأحيا معكَ اللحظات وكأنَّها الدهر كُلّه.

أمسكَ رأسها بينَ راحتيهِ في لمسةٍ حانية وقالَ بإصرار:

- لن أتركِكِ.. لقد اخترتُ أنْ أبقى هُنا معكِ،

لن توجد قوة على وجهِ الأرض تُثنيني عن قراري أو تُبعدني عنكِ.

وضعتْ راحتها اليُمنى على فِيهِ لمنعهِ من الاسترسال، وهمستْ ودمعها ينهمر كَالشلّال:

- لا تَعِدْ بما لا تستطيع الوفاء بهِ.. إنَّهُ القدر يا (بدر).

كانتْ المرة الأُولى التي تنطق اسمهُ بدلًا من (إيا-رِع)، كانَ ينظر لها وقد اتسعتْ عيناهُ من الذهولِ لما تقول، أرادَ أنْ يُبعدَ يدها عن فِيهِ ويصرخ بأنَّهُ لن يتركها أبدًا، لكنَّ أصابعها الحانية استطاعتْ أنْ تكسر قوّته ومِنعته وهمست:

- ليسَ لنا من الأمرِ شيء!

فمَن جاءَ بكَ إلى هُنا، هو مَن يُقرّر متى تُغادر،

ولتعلم جيّدًا أنَّكَ الوحيد بل والأوحد؛ فقلب (إيمونت) لم ولن يخفق أبدًا لإنسان.

أنهتْ عبارتها وألقت بنفسها في حضنهِ مرّةً أُخرى، وكأنَّها تُحاول أنْ تقضي ما بقيَ لهما معًا في هذا المكان، لا تُغادرهُ أبدًا إلَّا إلى قبرها.

كم تمنّتْ من قلبها أنْ تموتَ بينَ ذراعيه، ولكنَّها كانتْ تُدرك أنَّهُ لا بُدَّ لها من العذاب، لا بُدَّ من الألم.

نزعت خاتمها الذهبي الذي يُزيّن سبّابتها اليُمنى ويحمل عَين حورس الحارسة، ووضعتهُ بإصبعِ يدِ (بدر) الصغير، فنظرَ لها نظرة اِندهاش ولكنَّها أغلقت يدهُ على الخاتم وضمّتها إلى صدرها وكأنَّها تستمدّ منها أمانها.

كانتْ تُدرك حكمة (آمون) في هذا العقاب؛ إذ أرادَ أنْ يُعلّمَ قلبها التماسُك والقسوة، فصنعَ هذا في أبشعِ صورة، بأنْ سحقَ قلبها تمامًا..

سحقهُ دونَ أدنى شفقة أو رحمة!

الفصل العشرون

مُتسربلة بالأسود، تتحرّك برشاقةِ فهدٍ صيّاد، تعرف طريقها جيّدًا برغم كثرة الكُثبان الرمليّة، حاملة لُفافة سوداء من جلدِ حيوانٍ مُقدّس، حتّى وصلت إلى مُبتغاها، كهف بأحدِ الجبال القريبة للوهلة الأُولى لا تراهُ من ضيقِ مدخله، ولكنَّهُ واضح لمُبتغيهِ، عبرت الفُتحة بخفّة، سارتْ مُنحنية لضيقِ الممّرِ حتّى وصلت إلى غُرفةٍ رحبةٍ رطبة بخلافِ

حال الصحراء القابعة فيها، غرفة منحوتة بجوفِ الجبل.

توقفت (إيمونت) بمُنتصفِ الغُرفة تمامًا أمام تمثالٍ على هيئةِ امرأة بمظهرٍ حيّة، وانحنتْ في خشوعٍ واعتدلت وقامتْ بإشعالِ شموعٍ كانتْ قد انتشرتْ في أرجاءِ الغُرفة السريّة، وخلعت عنها وشاحها الأسود ليظهرَ من أسفلهِ زيّها الكهنوتي.

وقفتْ (إيمونت) مُتضرعة أمامَ تمثال (ورت-حكاو)، ربّة السّحر والقُوى الخفيّة، تلكَ التي شاعتْ قُدرتها على كسرِ اللعنات وتغيير أقدار البشر.

قد عُطِرَ المكان بالبخورِ المُقدّس، بينما تُمسك بكتابِ الموتى بيديها المُرتعشتين.

وقفت (إيمونت) بخوفٍ وقد شحبت ملامحها من شدّةِ الرجاء، وبدأت تتلو بصوتٍ خافتٍ وكلماتٍ مُتهدّجة، كأنَّها تتحدّث من أعماقِ قلبها.

- يا ربّة السّحر والقدر، يا (ورت-حكاو)، يا مَن تنسجينَ بيديكِ الخفيتينِ خيوط الزمن والمصير، أتيتُ إليكِ متوسلة، حاملةً قلبي ورّوحي أمانة بينَ يديكِ.

أعلم أنكِ قادرة على قلبِ المُستحيل إلى مُمكن، وعلى فتحِ بوابات السّماء والأرض.

تنّهدت (إيمونت) واستنشقت نفسًا عميقًا، وملامح وجهها ترتجف بحُزنٍ دفينٍ قبلَ أنْ تُتابع:

- يا (ورت-حكاو)، إليكِ أرفع دُعائي، طالبةً حمايتكِ من لعنةِ (آمون)، هذهِ اللعنة التي جعلتني أسيرة حُبٍّ مُستحيلٍ لرجُلٍ من زمنٍ آخر (إيا-رع)، الذي خطفَ قلبي بروحهِ وغرابتهِ عن هذا الزمان.

إنْ كانَ لي نصيب منهُ فاجعليني أحتفظ بهِ وأبقهِ قريبًا منّي، وإنْ كانَ حُبًّا مُحرّمًا فامنحيني القوة للهربِ معه؛ كي نحيا في زمنهِ البعيد، فلا يُقيّدنا القدر ولا تغلق أمامنا بوابات الزمن.

أكملت تضرعها مُمسكةً بكتابِ الموتى، تتصفحهُ بحثًا عن صلواتٍ قديمة، كانتْ مخطوطة مُنذُ القِدم ، صلوات شِبه منسيّة، تستجدي أرواح الإله وتُناجيها.

وقفت صامتة للحظة، وأغمضت عيناها قبلَ أنْ تُتابع بنبرةٍ مُمتلئةٍ بالرهبة:

- يا (ورت-حكاو)، يا ربّة العوالم الخفيّة، أنتِ الوحيدة القادرة على تحريرنا من قيودِ الزمن، أرجوكِ اسمعي ندائي، وامنحيني الحِكمة، دُليني على السبيل لكسرِ هذهِ اللعنة، أو للعبورِ إلى عالَم (اِيا-رِع).. عالَم المُستقبل.

أنهتْ (إيمونت) صلاتها بخفوت، وهي تُقبِّل الكتاب بوقارٍ وتضعهُ على أرضِ الغُرفة، متوسلة بصمتٍ إلى (ورت-حكاو) أنْ تستجيب.

تترقب أنْ يزولَ الظلام القابع بقلبها، أو يأتيها الردّ عبر همسٍ غير منظورٍ من عوالم السّحر الخفيّة.

طالَ انتظارها بلا إجابة أو اِستجابة، تساقطتْ دموعها رغمًا عنها، عَلِمَتْ أنَّ ما تفعلهُ هو خيانة لربّها وإلاهها (آمون) العظيم، ولكنَّ نداء قلبها كانَ أعلى وأعظم، خرّتْ ساجدة أمام التمثال القائم بمُنتصفِ الغُرفة، وتعالى نحيبها يقطع أوصال الصمت القابع في المكان.

فجأة شعرتْ بلمسةٍ حانية على رأسها، التفتت بسرعةٍ فوجدتْ (بدر) اتسعتْ عيناها في دهشةٍ بالغة، فلم تتوقع أبدًا أنْ تجدهُ خلفها!

أمسكَ بذراعها وساعدها على النهوض، ومازالت الدهشة مُسيطرة على ملامحها وعقلها بالكامل فتمتمت بخفوت:

- كيفَ أتيتَ إلى هُنا؟

ابتسمَ وهو يحتويها بينَ ذراعيهِ وأجابها:

- لقد تتبعتكِ بعدما شعرت بكِ وأنتِ تنسلّينَ من الفِراشِ بجواري، فشعرت بالدهشةِ والحيرة، وقرّرتُ أنْ أتْبَعكِ كي أفهم السرّ وراء ما فعلتِ؟

نظرتْ أرضًا في خجلٍ وأجابتهُ بصوتٍ خفيضٍ وعلى استحياء:

- كُنتُ أبحثُ عن حلٍّ؛ فلجأتُ للربّة (ورت-حكاو)، ربّة السّحر والغراب؛ كي تُساعدني في كسرِ لعنة (آمون) لنا.

تجهمتْ ملامحهُ ممّا تقول، واعتلى وجههُ الغضب، وصرخَ بها قائلًا:

- لن أتركَكِ، عليكِ أنْ تعي هذا جيّدًا، بلعنةٍ أو بدون لن أتخلّى عنكِ أبدًا.. لن يستطيع (آمون) أو غيرهِ أنْ يأخذكِ منّي أبدًا.

قالها وهو ينظر بغضبٍ في كُلِّ اتجاه ويصرخ بانفعال:

- أينَ هو (آمون)؟

أينَ ربّ الأرباب الذي تركَ شعبهُ للمُعاناةِ والموت؟!

أينَ هو الإله الرحيم الذي لعنَ كبيرة كهنتهِ بلعنةٍ أصابتْ قلبها؟

قلبها الذي أخلصَ لهُ في الصّلاةِ والخشوع.

أيُّ إلهٍ هذا؟!

واقتربَ منها مرّةً أُخرى وأمسكَ ذراعيها، وظلَّ يُحركها للأمامِ والخلف وكأنَّها دُمية بينَ يدية، يُريدها أنْ تعودَ لرُشدها وتفيق من هذهِ الأوهام.

بكتْ فتساقطتْ دموعها بغزارة، بكتْ كأنْ لم تبكِ من قبل، وتضرعت لهُ:

- أرجوكَ أنْ تصمت، لن يغفر لكَ هذا التطاول أبدًا.

(آمون) إله غيور، إله يملك من الكِبرِ والغرور ما يكفي الخليقة بأكملها، لن يتركَ تطاولكَ وتحدّيكَ لهُ يمرّ دونَ عقاب، أرجوك، لتطلب المغفرة والصفح.

تهدّجَ صوتها وانهمرت دموعها أكثر وأكثر، شعر (بدر) ببيدٍ باردة تعتصر قلبه لوصولها لهذهِ الدرجة من البُكاء.

ضمّها لصدرهِ وأحاطَ رأسها بذراعيه، وجذبها وتحرّك بها خارج الكهف.

استسلمت لهُ وخرجا معًا عائدينِ إلى المعبد،

تاركة خلفها كُلّ مُتعلّقاتها، الشموع والبخور، وكذا كتاب الموتى، فقد كانتْ على استعدادٍ تامّ أنْ تتركَ العالم كُلّه لتبقى بينَ يدي حبيبها (اِيا-رع).

ابتعدا حتّى ابتلعهما الظلام، ومن خلفهما تعالى صوت فحيح أفعى، ظهرت من إحدى شقوق الكهف، والتفتَ حولَ تمثال الإله (ورت-حكاو)، استقرّت عليهِ وهي تُطلق فحيحها دونَ انقطاع.

هبّت رياح خفيفة وتحرّكت صفحات كتاب الموتى بفعلها لتتوقف على برديّةٍ خاصّة باستدعاء الربّة (ورت-حكاو)، وتعالى صوت أُنثوي أقرب للفحيحِ قائلًا:

- لكِ ما طلبتِ.

وفجأة اهتزّت الأرض وانشقتْ إحدى جُدرِ الغُرفة، وظهرَ من خلفهِ كيان ضخم يشّع بالضياء.

اقتربَ من الحيّة والتمثال، وبكُلِّ قوّتهِ ضربهما بقدمهِ حتّى سحقهما تمامًا.

وبصوتٍ جهوريٍ صرخ:

- أنا (آمون) العظيم.

أنا ربّ الأرباب جميعًا.

لا تُكسَر لي لعنة ولا يُعصَى لي أمر.

قالها وارتجّت الأرض حتّى شعر بها كُلّ إنسانٍ على أرضِ مصر.

اهتزّتْ الأرض لتُعلنَ عن غضبِ الإله.. غضب (آمون).

الفصل الحادي والعشرون

فتحَ عينيهِ في تراخٍ، يشعر بالإرهاق الشديد وخاصّةً بعدَ ما حدثَ أمس؛ إذ كانَ يحمل (إيمونت) بينَ ذراعيهِ _طيلة المسافة_ كَطفلةٍ صغيرة أدركها الإرهاق والتعب بعدَ يومً شاقٍّ من اللعب.

نظرَ من بينِ خصاص النافذة فشاهدَ الشَّمس قد أصبحت في كبدِ السّماء، ولم تَكُن (إيمونت) بجوارهِ، بحثَ عنها في الغُرفةِ، لكنْ لا أثرَ لها.

غادرَ الفِراش على عجلٍ مُرتديًا زيّهُ الملكي؛ إذ يحظر عليهِ الظهور أمامَ العامّة بزيٍّ غيره.

خرجَ إلى بهو المعبد العملاق، أخذَ ينظر في كُلِّ اتجاه بحثًا عنها، فوجدَ (ميريت-كا) أمامهُ، اقتربَ منها وبمُجرّدِ أنْ فعل، فانحنت لهُ احترامًا ووقارًا، سألها عن سيّدتها أشارتْ لهُ إلى آخر الرواق قائلة:

- سيّدتي هُناك؛ حيثُ غُرفة العطايا.

ارتفع حاجباهُ في دهشة، كيفَ نسيَ أمر هذهِ الغُرفة نهائيًّا مُنذُ أنْ أتى إلى هذا الزمن؟

فمنها بدأ كُلّ شيء، تحرّكَ بخطواتٍ سريعة إلى هناك، وقفَ أمامَ بابها العملاق، ودفعَ البوابات العملاقة بيديه، تحرّكت

الأبواب بانسيابيّة لا تتناسب مع حجمها أبدًا.

أدركَ عبقرية وذكاء المصري القديم، واستطاعتهِ في استخدام المحاور وقوانين الطاقة قبلَ أنْ يكتشفها العِلم الحديث، وعمل روافع تعتمد على طول ذراع القوّة لتقليل المُقاومة.

دلفَ الغُرفة وتجمّدَ في مكانهِ من الانبهار؛ إذ يشهد سطر التاريخ لمشهدٍ بديعٍ لم يحلم بهِ أو يتخيّل رؤيته.

لو حاولَ (بدر) أنْ يَصِفَ المشهد الذي يراهُ لما استطاع، ففي قلب معبد (آمون)، حيثُ تتردّد أصداء الأناشيد المُقدّسة وتنثر الروائح العطِرة، تتشكل غُرفة القرابين والعطايا تحت أيدي مجموعة من العُمّال المصريين القُدماء، الذّينَ نذروا أرواحهم وفنّهم لتمجيدِ الآلهة وتخليد عظمة معبدهم، بأجسادهم المُغطاة بعرقِ الكدّ، وجباههم اللامعة بضوءِ الشَّمس المُتسللة من فُتحاتٍ ضيّقة بالسقف.

وقفَ هؤلاء العُمّال وكأنَّهم جنود في حضرة الآلهة، يُبدعون بإتقانٍ مُدهش على جدران الحجر.

بأصابعٍ عارية ومُلطخة بالصبغات، حملَ أحدهم أداة النحت بمهارةٍ فائقة، وأخذَ ينقش الرموز الهيروغليفيّة بدقةٍ وكأنَّهُ يكتب تاريخًا أبديًّا على صفحاتِ الزمن.

ترتعش يدهُ بينَ حينٍ وآخرٍ من شِدّةِ التركيز، كأنَّما يسمع صوتًا خفيًا يأمرهُ بإكمال كُلّ خطّ ورمز بنقاءٍ تامّ.

لم يَكُن ينظر سوى إلى الحجر أمامه، وكأنَّما يُعبّر بأصابعهِ عن عظمة الآلهة وقوتهم السرمديّة.

إلى جانبهِ عامل آخر يمزج الألوان المُستخرجة من الأرضِ الطاهرة، الأزرق النيلي، والأحمر القاني، والأصفر الذهبي، وكأنَّهُ يستخرج من الطبيعة عُصارة قُدسيتها ليُزيّنَ بها الجدران.

يعمل بحذرٍ وتأنٍ، يملأ الأشكال والوجوه السماويّة بألوانٍ غنيّة، تاركًا كُلّ لمسة تحمل رسالة بصريّة تأسر القلوب.

تحت أقدامهم، كانتْ قطع الحجر المتناثرة تشهد على الجهد المبذول، ويكأنَّ الأرضَ نفسها تُنثر لتحيّة الآلهة.

الأدوات الحجريّة، التي طالما شهدت على عظمة المصريين، تتناغم مع أنفاس العُمّال، وكأنَّها تُردد معزوفة مُقدّسة، صوتها ينخرط في همساتِ الجدران، يتحدّث عن إخلاصٍ لا ينضب وتفانٍ لا حدودَ له.

بينَ العُمّالِ وقفتْ (إيمونت) تُشرِف على العمل بعينينِ مليئتين بالفخر، ترفع يديها بينَ الحينِ والآخر لتعديل بعض الأمور، وتضع لمسة الحكمة على العمل، وتهمس لهم بكلماتٍ تُراثيّة لا يفهمها إلَّا مَن عاشَ دهرًا في خِدمةِ الآلهة.

كأنَّ الزمان قد توقف، وكأنَّ الدقيقة التي تمرّ في هذا المكان هي صلاةٌ تُرفع إلى (آمون) في سماءِ الأبديّة.

فهؤلاء العُمّال لا ينقشونَ على الحجرِ وحسب؛ بل كانوا ينقشونَ ذاكرة الأُمّة المصريّة، يُخلدونها برموزٍ من قلب حضارتهم.

- يا اللَّه.

نطقها دونَ أنْ يشعر، قد تلفظَ بها لسانهُ دونَ وعيٍ أو تفكيرٍ من روعةِ المشهد، نطقها باللغةِ العربيّة، ، فألتفتَ لهُ الجميع في دهشة، لكنَّهم لم يفهموا ما قال، حتّى (إيمونت) التي نظرتْ إليهِ وارتسمتْ على ملامحها أجمل ابتسامة لمخلوق، ابتسامة لها مفعول السّحر في سعادةِ كُلِّ مَن يراها.

عَملتْ هذهِ الابتسامة كَمُخدرٍ في أوصاله، لكنَّهُ أفاقَ من خدرِ ابتسامتها سريعًا:

- ماذا تفعلين؟

سألها وملامحهُ تحمل دهشة كبيرة ممّا رأى، اقتربتْ منهُ في دلالٍ وقالت بأسلوبٍ ساحر:

- لقد قرّرتُ أنْ أُدوّن كُلّ الأحداث مُنذُ البداية.

عقدَ حاجباهُ من الدهشة:

- أيّة أحداث؟

تابعتْ وهي تلتفت إلى العُمّال:

- أحداث الحكاية مُنذُ البداية، أحداث حكايتنا.

سقطَ فكّه السُفلي من الذهول لما قالت، لكنَّهُ أدركَ أمرًا لم ينتبه لهُ مُنذُ البداية، فنظرَ نحو الحائط بحثًا عن صورة الإله (آمون) التي يحمل فيها الصولجان ذي الكُرة بنهايته، والذي تسبب في مجيئهِ إلى هذا الزمن.

وجدَ الصورة موجودة بالفعلِ بنفسِ تفاصيلها، لكنَّ باقي الجدار بالكامل لا يحمل أيّة رسومات أُخرى، فنظرَ لها وتساءل:

- أفهم ما تودّ قوله، لا أستطيع أنْ أمحوَ صورة الإله المُعظّم (آمون) لسببين؛ أولّهما لقُدسيهِ مكانتهِ، وثانيهما أنَّها قد تسبّبت في مجيئكَ إلى زمني وعالمي، لذا سوفَ أتركها كما هي، وأمَّا باقي الجدار فسأقص القصّة مُنذُ البداية، لتكونَ صورة الإله (آمون) ضمن الأحداث بالتفصيل.

نظرَ لها بانبهار، إذ كانتْ تتمتع بذكاءٍ خارقٍ وعبقريّةٍ لم يرى لها مثيل.

- لكنْ لِمَ تفعلينَ هذا؟

وما العائد من وراءِ فعله؟

اقتربتْ من العُمّال الذّينَ يرسمونَ الجدار، وفتحتْ ذراعيها وكأنَّها تُحاول أنْ تحتوي الجدار بينهما، وتابعت:

- أُدركُ جيّدًا أنَّ لهذا الرسم فائدة كبيرة، لا أعلمها بالضبط، لكنَّ شعوري قد دفعني لهذا الفعل، وكأنَّ الآلهة هي مَن أوحت لي بهِ.

تابعَ شرحها غير قادر على الفَهم، لكنَّهُ أدركَ صِدق حدسها من حُكمِ عشرتهِ الفترة الماضية لها، ورؤيته ما تفعل وكذا حكمتها في إيجاد الحلول.

صمتَ وتركها تُتابع الإشراف على ما يقوم بهِ العُمّال دونَ أيّ تدخل منه، بل ظلَّ يُتابع العمل في انبهارٍ تامّ.

كُلّما مرّت دقيقة اتضحتْ القصّة أكثر وأكثر، حتّى أصبحت واضحة أمامهُ.

لم يَكُن الاعجاز في مهارة العُمّال فقط، ولكنْ فى رشاقة الكلمات المُختارة، وجمال اللحن الإبداعي لوصف القصّة حتّى تُشعركَ أنَّها إِحدى قصص أبطال ما قبل التاريخ!

جذبَ انتباه رُكن قصيٍّ خالٍ من الرسوماتِ تمامًا، ويكأنَّهُ لم يكتمل أو تمَّ تركهِ عن قصد، وما أثارَ دهشته اكثر هو أنَّ العُمّال قد انصرفوا دلالة على انتهائهم من عملهم.

لم يتبّقى إلَّا هو وهي فقط، أمسكتْ يدهُ وتحرّكت إلى خارج الغرفة، لكنَّهُ استوقفها وسألها:

- لِمَ هذا الجزء فارغًا لم توضع بهِ أيّة رسومات.

ظلّت صامتة لفترة، وفجأة سقطت عبرة من عينها دونَ سابقِ إنذار، واقتربتْ منهُ هامسة:

- سوفَ تُكمل يا حبيب الروح، لكنْ ليسَ الآن، اطمئن؛ فهُنا سوفَ تُسطَر النهاية.

قالتها وتحرّكت وهي تُمسكُ بذراعهِ فتبعها وهو ينظر للخلفِ حيثُ المساحة الفارغة، وبرأسهِ يدور ألف سؤال وسؤال.

- ماذا تقصد بالنهاية؟!!

ماذا ؟؟؟

الفصل الثاني والعشرون

- شُكرًا لكِ يا (مريت-كا).

نطقتها (إيمونت) وهي تتناول هذا الكتاب الضخم الأسود غلافه من مُساعدتها، كتاب الموتى الذي تركتهُ خلفها في الكهفِ الجبلي الخاصّ بالمعبودة (ورت-حكاو) حينَ حملها (إيا-رِع) كالطفلة بينَ ذراعيه، وتركا كُلّ شيءٍ خلفهما وعادا إلى معبدِ (آمون).

قد طلبت من مُساعدتها أنْ تُحضر الكتاب من هناك،

لأهميتهِ الكبيرة؛ لندرتهِ في وقتها وغير مسموح للعامّة أو حتّى ساكني المعبد بالاطلاعِ عليهِ.

احتضنت الكتاب بينَ ذراعيها كمَن يحتضن طفله العائد بعدَ غياب، تحرّكت إلى الغُرفة الخاصّة العطايا بعدَ رحيل

العُمّال، وتقدّمت من صندوقٍ خشبيٍ يزدان بنقوش مُبهرة، فقامتْ بفتحهِ ووضعت الكتاب بمُنتهى الحرص والاهتمام، لم تشعر ببدر الواقف خلفها ليُتابعَ ما الذي تفعلهُ باهتمام، انتهت من وضع الكتاب ثُمَّ أسدلت عليهِ رُقعة من الجلد لحفظه، وقامتْ من مكانها واستدارت لتُغادر الغُرفة فجزعتْ حينَ رأت (بدر) خلفها، لم تتوقع وجوده، احتواها بينَ ذراعيهِ لشعورهِ بفزعها وليُخفف عنها وقع الصدمة.

ظلّتْ بينَ أحضانهِ وكأنَّها قد وجدتْ أمانها، حتّى أمسكَ بذقنها وأرجعَ رأسها للخلف؛ لينظرَ في عينيها مُتسائلًا عمّا تفعل:

- أحفظ كتاب الموتى في مكانهِ المُعدّ لهُ،

تذكّر هذا الصندوق جيّدًا يا (إيا-رع)، لرُبما تحتاجهُ يومًا ما.

نظرَ لها وقد ارتسمتْ الدهشة على ملامحهِ وتساءل:

- فيما قد أحتاج إليهِ؟

دفنتْ وجهها بصدرهِ وغمغمت قائلة:

- ليسَ الآن يا حبيب الروح، ليسَ الآن، لكنْ تذكّر وحسب.

وابتعدت عنهُ وهي تبتسم وتُمسك بيدهِ وتجذبهُ معها إلى خارج الغرفة، سار خلفها مُجبرًا كَالطفلِ الذي يُمسك بيدِ أُمّه، تاركًا لها حُرّيّة اتخاذ الطريق، فهو لا يُريد أنْ يرفضَ لها طلبًا أبدًا، لا يعلم السبب غير أنَّهُ يثق بذكائها الحادّ؛ فهي تُدرك جيّدًا ما تفعل دائمًا.

خرجا معًا إلى بهو المعبد ومنهُ إلى الباحة الخارجيّة، حيثُ تجمّع العديد من الشعب، في انتظار ظهور المُنقذ، الذي نجحَ في إخراجهم من براثن الموت جوعًا.

وبمُجرّد أنْ رأوهُ أخذوا يهتفونَ باسمه، ويتلونَ صلوات للإلهِ (آمون) شُكرًا وعرفانًا لإرسالهِ هذا المُخلّص، الذي أنقذهم من الموت.

ظلّت الجموع تهتف لفترةٍ حتّى أشارتْ لهُ بالتحرُّكِ فقد توسطتْ الشَّمس كبد السّماء؛ والملك (منتوحُتب الثاني)

في انتظارهِ بالقصرِ الملكي.

تحرّكا وكانتْ في انتظارهما عربة حربيّة من العربات الملكيّة، صعدَ (بدر) أوّلًا ومدَّ يدهُ ليُساعدها على الصعود بجواره، وانطلقت بهما نحو القصر الملكي.

وما أنْ وصلا حتّى انطلق صوت بوق معدني مُميّز، فنظرَ (بدر) تجاه الصوت، كانَ أحد رجال القصر يحمل بيدهِ بوق معدني مُميّز الشكل، يزدان برسوماتٍ مُلّونة تُمثّل زهرة اللوتس.

كانَ يعلم جيّدًا أنَّهُ قد قد رأى البوق من قبل، ولكنْ لا يتذكر أينَ ولا متى، فمالَ إلى (إيمونت) سألها، فأجابتهُ مُبتسمة:

- إنَّها أبواق (آمون) المُقدّسة.

وهُنا اتسعتْ عيناهُ في رعب، فقد تذكّرَ الآن أينَ رآها من قبل، كما تذكّرَ كُلّ ما قِيلَ وكُتبَ عنها، إنَّها أبواق (آمون) الملعونة، التي تسبّبت في كوارث كثيرة أصابتْ البشريّة بعدَ كُلّ مرّة تمَّ نفخها بعدَ العثور عليها في مقبرةِ الملك (توت عنخ آمون)، ابتداءً من موتِ كُلّ مَن نفخ فيها، وحتّى انقطاع الكهرُباء عن القاهرة بالكاملِ وعن عن انجلترا، وحتّى اندلاع الحرب العالميّة الثانية.

- ماذا هناك؟

أخرجتهُ من شرودهِ بهذا السؤال، فنظرَ لها وعلامات الدهشة مازالت تُسيطر على ملامحهِ وقال:

- أليستْ هذهِ الأبواق ملعونة؟

كادتْ أنْ تفلتَ منها ضحكة عالية، ولكنَّها تماسكت في آخر لحظة، ومالتْ إليهِ وهُم سائرونَ نحو البهو الملكي وقالت:

- اطمئن، أنا فقط مَن يُلقي عليها اللعنات، أمَّا الآن فهي تُنفخ بغرضِ الاحتفال، لا تقلق لن يحدُث شيء.

ازدردَ لُعابهُ وحاولَ أنْ يطمئن بعد ما قالت لهُ، وتابعَ السير بجوارها حتّى وصلا إلى البهو الملكي.

قد تواجدَ جميع رّجال الملك، بالإضافةِ لكافّة النُبلاء من الشعب، والذّينَ انحنوا جميعًا احترامًا لهما بمُجرّد وصولهما.

دقائقَ معدوداتٍ وقد أتى موكب الملك (منتوحُتب الثاني) المهيب، الجالس على كُرسيٍّ ذهبيّ الصُنع، محمولًا على أعناقِ أربعة رجال أشدّاء، سُمر البشرة، مفتولي العضلات.

يرتدي تاج الوجهين الذهبي، يحملُ صولجانًا ذهبيًّا.

مشهد مهيب للغاية، ولامع وبرّاق إلى أقصى حدّ، فالذهب يُغطي الآن كُلّ شيءٍ بخلافِ المرّة السابقة، التي تواجد بها (بدر) في حضرةِ الملك.

من الواضح هذهِ المرّة أنَّ الرخاءَ قد عمَّ البلاد، وهو ما تعكسهُ كميّة الذهب المُتواجدة في القصر الملكي، وكذا البهجة وروح الاحتفال التي تكسو كُلّ شيءٍ داخل القصر.

تمَّ إنزال العرش الملكي بهدوء، وهبطَ الملك منهُ مُترّجلًا، ممّا جعلَ الجميع يسجدونَ احترامًا لهُ.

اقتربَ (منتوحُتب الثاني) من (بدر) ووضعَ الصولجان على كتفهِ فى إشارةٍ لهُ أنْ ينتصبَ واقفًا، وبالفعلِ اعتدلَ (بدر) الذي لم يَكُن ساجدًا وإنَّما مُنحنيًا فقط احترامًا، ليواجه الملك ويقف أمامهُ في ثبات، فابتسم (منتوحُتب الثاني) وقال:

- (إيا-رع) المُنقذ، المُرسَل من الإله، كيفَ هي أحوال البلاد؟

بعدَ أنْ نجحتَ بطريقتك السّحريّة في إخراجِ خيرات الأرض سريعًا ودونَ الأوان؟

ابتسمَ (بدر) وقال:

- مولاي، لقد عمَّ الخير كُلّ أرض مصر العُليا تقريبًا، واستعدنا الاستقرار والسيطرة بالكامل على مقاليد الأمور.

ظهرَ الامتنان على وجهِ الملك، ولكنْ سُرعان ما تغيّرت ملامحهُ وحملت الكثير من الأسى وقالَ بصوتٍ يفيض حزنًا:

- لكنَّ الوضع في شّمال (كيميت) مُختلف تمامًا يا (إيا-رع)، مازال الجوع والموت يُسيطرانِ على الوضعِ بالكامل هناك، وهذا ما قد استعديتكَ لأجله.

وتابعَ وهو يبتعد قليلًا ليقف في منتصف البهو:

- لذا أُريدكَ أنْ تتحرّكَ باتجاه الشّمال، ومعكَ كُلّ ما تُريد من رجال وعتاد ومُعدّات، وتستقرّ في الشّمال حتّى يعمّ الاستقرار والرخاء هُناكَ أيضًا.

اتسعتْ عيناهُ في ذهولٍ ممّا يسمع، فالتفت دونَ إرادة إلى حيثُ تقف (إيمونت) فوجد نفس ملامح الجزع ترتسم على وجهها؛ إذ أدركَ أنَّهُ سيذهب وحيدًا دونها، فهى كبيرة كهنة الإله (آمون) والخاصّة بالمعبد الكبير في جنوب البلاد، ولا يُمكن أنْ تترك المعبد لأيّ سببٍ كان، وهُنا ازدادَ رُعبه وخوفه، فمن المُستحيل أنْ يبتعدَ عنها.. هو هُنا من أجلها هي فقط.

التفتَ إلى الملك وقال:

- ولكنْ لتسمح لي مولاي الملك (منتوحُتب الثاني) بالبقاءِ هُنا، مع وعدٍ بإرسالِ كُلّ المُعدّات وتجهيز كُلّ شيءٍ بنفسي والتأكد من سير الأمور على خير ما يُرام.

نظرَ لهُ الملك وقد ارتسمت على وجههِ ملامح الغضب، واقتربَ منهُ والشرر يتطاير من عينيهِ وقالَ بصوتٍ غاضبٍ:

- هل تجرؤ على عصيانِ أمر اِلهك؟

تلعثمَ (بدر) وخاصّةً بعدَ أنْ تعالى صوت همهمات بينَ الجموع على ما حدث، وفجأة اقتربتْ (إيمونت) ووقفت حائلًا بينهما، وهي تواجه الملك (منتوحُتب الثاني) وانحنت بجذعها في احترامٍ وقالت:

- خادمكَ (إيا-رع) لم يقصد العصيان يا مولاي، لكنَّهُ أرادَ البقاء بجوار كرسيّ عرشك، ليكُن في خدمتكَ فقط.

وهُنا لانت ملامح الملك قليلًا، وتابعتْ هي:

-وبالطبعِ سوفَ يُنفذ أمر مولاي دونَ أيّ تاخير، فأوامر مولاي هي أوامر إلهيّة لا يُمكن أنْ يتباطأ في تنفيذها.

ابتسمَ الملك، ونظرتْ هي تجاه (بدر) وعيناها تلمع بالعبراتِ الحبيسة، وهُنا انطلق البوق مرّة أُخرى، فنظرَ (بدر) تجاه الصوت.. وأدركَ صدق حدسه، إنَّ هذا البوق ملعون، وها قد بدأتْ اللعنة

الفصل الثالث والعشرون

كانتْ ليلة ليلاء بالنسبةِ لبدر، شعر وكأنَّها بألفِ شهر، حاولَ أنْ يخلد إلى النوم ولكنْ هيهات؛ فقد أبى النوم أنْ يزور مخدعه، فإذ بهِ يجفل قليلًا وسُرعان ما يفيق من غفوته، ليجدها نائمة كَالملاكِ البريء بينَ ذراعيه، فيحاول ألَّا يوقظها ويعود لصراعهِ مع أفكارهِ مُحاولًا أنْ ينتصرَ في حربٍ قد وضعتْ أوزارها مُنذُ زمنٍ وأعلنت هزيمته للأبد!

وبينَ إحدى الغفوات واليقظة لم يجدها بجواره، اعتدلَ من رقدته، بحثَ عنهابالغرفة على الضوءِ الخافت القادم من أحدِ المصابيح الزيتيّة المُشتعلة في رُكن الغرفة، يتراقص لهيبها مُحاولًا قتل الظلام، وبالكاد تستطيع أنْ تتبيّن أصابعك من ضوئه.

لم يَكُن لها أيّ أثر، هبطَ مُسرعًا وغادر الغرفة، تحرّكَ باتجاه بهو المعبد الكبير، رآها من بعيدٍ تسجد أمامَ تمثال (آمون) الذهبي، مُنبطحة أرضًا وكأنَّها ذهبتْ في سُباتٍ عميقٍ أسفلَ أقدامهِ، إلَّا أنَّ صوتَ نحيبها مع تمتمات الصلوات أخبرتهُ أنَّها مازالت واعية.

شعرَ بغضبٍ عارمٍ يجتاح فكرة، واشتعلت النيران في صدره، حتّى كادتْ أنْ تحرقَ قلبه وشُرايينه.

اقتربَ منها بهدوءٍ وحملها بينَ ذراعيه، وهي خائرة القوى من كثرةِ البُكاء، استكانتْ لهُ عندما حملها كَسكونِ الرضيعِ بينَ يدي أُمّه.

خرجَ بها إلى أقرب غرفة، غرفة العطايا التي بدأت منها كُلّ الأحداث، وضعها على أقرب مِقعد، وجهها مُغطى بالدمع ممّا زاد من حنقهِ وغضبه، وجعلهُ يستدير ويركل بقدمهِ إحدى التماثيل الصغيرة، والتي تُمثّل الإله (آمون) وهو في وضعيّةٍ باسط يديهِ كَرمزٍ لعمومِ الخير والرخاء، فاصطدم التمثال بالجدار المواجه وتحطّمَ إلى قطعٍ صغيرة، فبكتْ أكثرَ وأكثر.

تصاعدتْ الدّماء إلى رأسهِ حتّى كادَ أنْ ينفجرَ من كثرة الغضب، فصرخَ بالعربيّة:

- اللعنة، اللعنة على كُلّ هذهِ الآلهة!

هُم ليسوا إله، ما هُم إلَّا مُجرّد شياطين تُسيطر على مجموعة من البشر، ولا تسعى سوى لتعاستهم فقط وليسَ لإسعادهم.

عادَ واقتربَ من (إيمونت) وركعَ على رُكبتيهِ ليكونَ مُحاذيًا لها وهي جالسة على المقعد، وأمسكَ وجهها براحتيهِ يُكفكف دمعها المنهمر، وقال لها بالمصريّةِ القديمة:

- توقفي عن البُكاء.. أرجوكِ.

لا أستطيع أنْ أرى دمعكِ وأقف عاجزًا عن فِعلِ شيء.

ابتسمتْ في وجههِ بعدَ هذهِ الكلمات، لكنَّها ابتسامة حملت من المُرِّ أكثر ممّا ينبغي.

- لا حيلةَ لنا.

لا نستطيع أنْ نرفض رغبة الملك (منتوحُتب الثاني) فهي بمثابة إرادة الإله.

سوفَ تذهب إلى الشّمال، لن أراكَ لسنوات،

وقد لا أراكَ مرّةً أُخرى.

قالتها وانهمرت دموعها مرّة أُخرى.

- ليتَ رَبّي أماتني بدلًا من أنْ يلعنني بك.

لماذا كتبَ عليَّ هذا، أمِن العشقِ ما قتل؟

أمِن قلبٍ يفيضُ حبًّا إلى قلبٍ تُغرّقهُ الدّماء؟

أيُّ لعنةٍ هذهِ التي تجعل السعادة قاتلة؟

قالتها وانخرطت في البكاء والنحيب مرّة أُخرى، كانَ الألم يعتصر قلبه، يشعر بقبضة دامية تلتف بينَ ثنايا صدرهِ لتعصرهُ بلا هوادة.

التفتَ بعيدًا كي لا يرى دمعها، وقعت عيناهُ على الجداريّة الخاصّة بآمون، والتي يحمل فيها الصولجان بكُرتهِ المُتوهجة، والتي بدأتْ بسببها كُلّ الأحداث.

اعتدلَ على قدميهِ واقتربَ من الجدار، وهو ينظر إليهِ نظرة يملؤها التحدّى، وتوقف أمامهُ بعدما كادَ الغضب أنْ يعميه، وصرخَ موجهًا حديثه إلى الجداريّة وكأنَّها كائن حيّ يقف أمامهُ:

- أيُّ إلهٍ أنت؟

ما أنتَ إلَّا رمزًا للشَّيطانِ وحِقدهِ وحسدهِ للبشر، تُمارس أفعالك الشَّيطانيّة لتدمير حياتهم فقط.

أيُّ إلهٍ هذا الذي يلعن معبوديهِ ويُشعرهم بالشقاء؟!

بدلًا من أنْ يُساعدهم ويُسعدهم؟

الحقّ أقول لكَ ما أنتَ إلَّا تمثال أجوف يُصدر الكثير من الضجيج.

قالها وهو يقترب منهُ في تحدٍّ وقد سيطرَ الغضب عليهِ تمامًا.

شعرت (إيمونت) بالهلع؛ فهي تُدرك أنَّ (آمون) لا يتهاون أو يتنازل عن أيّ إساءةٍ بحقّه.

أسرعتْ واحتضنت (بدر) من الخلف، تُحاول أنْ تُثنيهِ عمّا يفعل، لكنَّهُ قد وصلَ بالفعل إلى ثورةٍ غضبه، فأزاحها جانبًا واندفعَ بكُلِّ غضبٍ واقتربَ حتّى وقفَ يواجهه رسم (آمون) مُباشرةً وصرخ:

- إنْ كُنتَ حقًّا إله، أظهر لي، واجهني.

قالها وهو يُكوّر قبضة يدهِ في تحدٍّ.

في هذهِ اللحظة، التمعت عينا (آمون) على الجدار بطريقةٍ غريبة.

وصرخَ (بدر) وأطلق قبضتهُ اليُمنى في ذاتِ اللحظة، واصطدمت بالكُرة الموجودة بنهايةِ الصولجان، والتى بدأتْ تُطلق شرارات مُتتالية.

اصطدمت قبضته بها، وحدثَ انفجار عظيم، وصرختْ (إيمونت) في هلعٍ:

- (اااااايا-رع)!

وقد أحاطت بهما هالة من الوهجِ الأبيض والآف الشرارات.

شعرَ بدر بضغطٍ رهيبٍ يكاد يسحق جسده ويحوّلهُ إلى الآف القطع الصغيرة.

وفجأة اصطدمَ بالجدار المواجه بقوة، وسقطَ أرضًا، وأظلمت الدُّنيا بعينيه.

مرّت فترة وقد أفاقَ على صوتِ قريبٍ وليسَ بغريب.

- (بدر).. (بدر).

فتحَ عينيهِ مُحاولًا النظرَ إلى مُحدّثهِ، ولكنَّهُ شعرَ بألمٍ رهيبٍ في كُلّ خليّةٍ من خلاياه.

سمعَ صوتًا يعرفهُ جيّدًا لم يسمعهُ مُنذُ زمن، إنَّهُ صوت صديقه (راتب)، شعرَ بالدهشةِ فرفعَ رأسهُ ونظرَ لهُ في ذهولٍ، تابعَ (راتب):

- مرحى يا صديقي.. عودًا حميدًا.

وهُنا فقط أدركَ ما حدث، أدركَ الحقيقة المُرّة؛ وهي عودتهِ إلى زمنه.. ولكنْ دونها.

الفصل الرابع والعشرون

هذا كُلّ ما حدثَ بالتفصيل خلال فترة الستين يومًا الماضية.

نطقها (بدر) مُوجهًا حديثهُ إلى (راتب)، الجالس أمامهُ على إحدى الصناديق الخشبيّة الموجودة بداخلِ غرفة العطايا، وقد اتسعتْ عيناهُ في انبهارٍ ودهشةٍ مع نظرة بلاهة، حتّى أنَّ فكّهُ السُفلي قد سقطَ من الدهشة، وظلَّ على هذهِ الوضعية دونَ أنْ يُغلقَ فِيهِ.

ما رواهُ بدرًا يُعَدُّ مُستحيل التصديق بالنسبةِ لصديقهِ (راتب)، ولأيّ إنسانٍ آخر، ولكنْ نظرًا لطبيعةِ العَلاقة بينهما والعِشرة الطويلة، أدركَ الأخير أنَّ صديقهُ يقول الحقيقة، وبرغمِ كونها الحقيقة فهذا لا ينفي اِستحالتها، لا صعوبة تصديقها وحسب!

- أنا أُصدّقكَ فيما ما قلتهُ يا صديقي، لكنَّ الأمرَ شِبه مُستحيل، فأيّ سّحرٍ فعلَ هذا، وأيّة قوّة يُمكنها كسر حاجز الزمن بمثلِ هذهِ الطريقة؟!

بالطبعِ أنا أُصدّقكَ ليسَ من أجلِ هذهِ الملابس، ولا من أجلِ لحيتك التي نَمتْ في نصفِ ساعة، والسُمرة التي ضربتْ بشرتك، وكأنَّكَ كُنتَ تُعذَّب تحتَ شَّمسٍ حارقة بالصحراءِ لفترةٍ كبيرة، ولكنْ من أجلِ الصداقة بيننا والأخوة.

انتهى من عبارتهِ ووقفَ واقتربَ من صديقهِ فاتحًا ذراعيهِ وتعانقا، ولأوّلِ مرّة انهمرَ دمع (بدر) وقد أطلقَ العنان لمشاعره، فجعلها تفيض مع دمعهِ المُنهمر.

ظلَّا هكذا قُرابة العشر دقائق، اختلطتْ خلالها عبراتهما بمشاعرهما، حتّى قطع هذا (راتب) قائلًا وهو يمسح دمعهُ بيدهِ:

- والآن يا صديقي، ماذا ستفعل؟

صمتَ (بدر) ولم يتحدّث لفترةٍ طويلة، لم يُحاول خلالها (راتب) أنْ يكسرَ حاجز الصمت هذا، حتّى تحدّثَ (بدر) أخيرًا:

- يجب أنْ أعودَ لها.

أطرقَ (راتب) بنظرهِ ارضًا تعاطفًا مع صديقه، وقالَ هامسًا:

- لكنَّ الأمرَ أشبه بالمُستحيل، فنَحنُ لا نعلم ما حدثَ سابقًا وهل هو من قُبيلِ المُصادفة، أم بترتيبٍ من ذلكَ المدعو (آمون) مثلًا.

نظرَ (بدر) بعدَ كلام (راتب) تجاه الجداريّة التي تحمل صورة (آمون)، وتقدّمَ منها ووقفَ أمامها مُتحدّيًا كما فعلَ سابقًا.

ظلَّ يضرب بقبضتهِ كُرة الصولجان، ولكنْ دونَ جدوى، ممّا زادَ من غضبهِ و حنقه، فظلَّ يكيل اللكمات إلى الجداريّة بالكامل، ولكنْ دونَ أدنى جدوى أيضًا، وأخيرًا سقطَ أرضًا بعدَ أنْ خارت قُواه.

تهدّجت أنفاسه من المجهود الذي بذله، فاقتربَ منهُ (راتب) وساعدهُ على النهوض، وهو يربت على كتفهِ قائلًا:

- اهدأ يا صديقي، اهدأ وسوفَ نجد حلّ بإذن اللَّه.

ولكنْ ماذا سنفعل الآن؟

وكيفَ سنعود إلى المُعسكر؟

وبماذا سنخبرهم عن ما حلَّ بكَ وبملابسكَ وملامحك؟

نظرَ لهُ (بدر) وقال:

- لن أعودَ معك، سوفَ أعود إلى القاهرة في أسرعِ وقت، يجب أنْ أبحث عن أيّة معلومات عنها أو عن تلكَ الحِقبة، يجب أنْ أعلم ماذا حدثَ بعدها.

قاطعهُ (راتب):

- ولكنْ كيفَ ستعود بملابسكَ هذهِ؟

وبماذا سنخبرهم عن غيابك؟

أجابهُ (بدر):

- أخبرهم أنَّني قد اضطررتُ للرحيلِ لظروفٍ عائليّة خاصّة بعدَ مُكالمةٍ هاتفيّة سريعة.

وتابعَ وهو يُمسك بكتفي صديقه، وينظر في عَينيهِ نظرة إصرار:

- ما عليكَ سوى الذهاب الآن سريعًا وإحضار ملابس أُخرى لي، وأعطني كُلّ ما تملك من نقودٍ لزوم السفر إلى القاهرة، وكذا يجب أنْ أقومَ بشراءِ هاتفٍ جديد؛ كي أتواصل معك.

لم ينتظرهُ (راتب) أنْ يُنهي حديثه فأخرجَ كُلّ ما يملكهُ من مالٍ وأعطاهُ له، وأشارَ لهُ أنْ ينتظرهُ ريثما يذهب إلى المُعسكرِ مُسرعًا

ويعود، وبالفعلِ تحرّكَ بسرعة وخفّة وتسلّقَ إلى الفُتحة التي بسقفِ الغُرفة وغابَ لمدة شارفت على الساعة تقريبًا، قد جلسَ(بدر) صامتًا مُفكرًا فيما حدثَ وفيما هو قادم.

وأثناء تفكيره وقعت عيناهُ على صورةٍ لها على الجدار المُقابل، اقتربَ منها ومدَّ يدهُ يتحسّس ملامحها، فسقطت عبرته دونَ إرادته، عندما تذكّرها وتذكّرَ ملامحها التي قد نُقشت بينَ طيّات قلبه، حتّى أصبحَ قلبه بمِثابةِ معبدٍ لها وحدها، يتعبّد هو لها ولملامحها المحفورة بكُلّ خليّةٍ من

خلاياه.

أفاقَ من أفكارهِ وشرودهِ على صوتِ (راتب)، كانَ قد عادَ ويهبط من العليقة بواسطة الحبال، وما أنْ هبطَ حتّى تقدّمَ من صديقهِ مُعطيًا إيَّاهُ حقيبة صغيرة، فتحها (بدر) سريعًا وأخرجَ الملابس وشرعَ في تبديلِ ملابسهِ، وما أنْ انتهى حتّى وجدَ (راتب) يُعطيهِ مبلغ مالي آخر وهو يقول:

- هذا المبلغ كانَ معي للاحتياط في هذهِ الرحلة، لكنَّكَ الآن تحتاجهُ أكثرَ منّي، خُذهُ ولا تتأخر في شراءِ الهاتف، بل ابتاعه بمُجرّد وصولكَ القاهرة، كي أطمئنَ عليكَ وأستطيع معرفة أخبارك.

قالها وتعانقا وأسرعا للصعودِ من الغرفة بنفس الطريقة، باستخدام الحبال وبمُجرّد خروجهما قالَ (بدر):

- يجب أنْ نُغلقَ هذهِ الفُتحة ولا نُعلم بها غيرنا، على الأقل حتّى أصِلَ إلى حلٍّ أو نعود مرّة أُخرى.

وأمسكَ بيدِ صديقه (راتب) وضغطَ عليها وتابع:

- ومهمتكَ يا صديقي هي ألَّا يصلَ أيّ فردٍ من أفرادِ البعثة إلى هذا المكان، حاول تشتيت انتباههم بكُلِّ ما أوتيتَ من قوة حتّى أعود.

أومأ لهُ (راتب) مؤكدًا أنَّهُ سيبذل المُستطاع ليمنع أيّ فردٍ من الوصولِ إلى الغرفة، وتعانقا مرّة أُخرى وأسرعا عائدينِ في اتجاه المُعسكر، كانتْ خيوط الفجر الأُولى قد شارفت على البزوغ.

وبمُجرّد أنْ اقتربا حتّى تصافحا، وابتعد (بدر) راكضًا في اتجاه الطريق الرئيسي للعودة إلى مدينة (أسوان).

ابتعدَ (بدر) عن أنظارِ (راتب) الذي وقف يُتابعهُ وهو يبتعد ويبتعد، وغمغمَ قائلًا:

- أعلمُ أنَّ كُلّ هذا مُستحيل يا صديقي، ولكنْ ما باليدِ حيلة، يجب أنْ أُساعدكَ حتّى لو كان الأمر مُستحيلًا، فهذا هو واجب الصداقة.. وداعًا يا صديقي.

في هذهِ الأثناء يركض (بدر) بكُلِّ ما أوتيَ من قوة، مُحاولًا طي المسافة في أسرعِ وقتٍ؛ كي يبلغ الطريق الرئيسي المُؤدى إلى مدينة أسوان مع ساعاتِ النّهار الأُولى.

وبالفعلِ نجحَ في قطعَ المسافة في أقلِ من ساعتين، لاهثًا وقد تقطعت أنفاسه، وانحنى على حافّةِ الطريق يُحاولُ إلتقاط بعض الأكسجين.

سمعَ صوت هدير مُحرّك سيّارة تقترب، دبَّ النشاط في جسدهِ الواهن مرّة أُخرى، وقفَ في مُنتصفِ الطريق يُشير بكلتا يديهِ إلى السيّارة القادمة بسرعةٍ على أمل أنْ تتوقف، وبالفعلِ استجابَ لهُ السائق وتوقف، كانتْ شاحنة خاصّة بنقلِ البضائع، اقتربَ من نافذة السائق وهو يلهث من المجهود والانفعال، ممّا جعل السائق ينظر لهُ بدهشةٍ مُتسائلًا:

- ماذا تفعل يا ولدي بهذا الطريق ألمُوحش في هذا البكور؟

أجابهُ (بدر) بأنفاسٍ مُتلاحقة:

- أعملُ ضمن اِحدى البعثات الاستكشافيّة، وقد حدثتْ حالة طارئة وظرف أُسري صعب، ممّا اضطرني على السفرِ إلى القاهرة في هذا التوقيت.

تطلعَ إليهِ السائق الطاعن في العمر، وتفحصهُ جيّدًا ثُمَّ قال:

- حسنًا يا ولدي، هيّا تفضّل معي، فأنا ذاهبٌ إلى مُحافظةِ سوهاج ويُمكنكَ من هُناكَ أنْ تستقلّ سيّارة إلى القاهرة أو حتّى القطار.

ابتسمَ (بدر) لهُ شاكرًا وأسرعَ في الصعودِ إلى الصندوق الخلفي للشاحنة، وجلسَ بينَ البضائع المُتراصة فيه، واستلقى شاخص البصر للسّماء، وأخذَ ينظر إلى الشفق الذي بدأ يتلّون بألوانِ

الصباح، حتّى خُيّلَ إليهِ أنَّ السّماءَ ترسم ملامح وجهها بينَ السُحب، فابتسمَ وهمس:

- أنا قادم إليكِ، قادم يا (إيمونت)، يا مُهجة القلب والفؤاد.

قالها وراحَ في سُباتٍ عميقٍ أقرب ما يكون إلى الغيبوبة، بعدَ كُلّ هذا المجهود الشاقّ الذي بذله، أغمضَ عَينيهِ بينما عقله وقلبه لا يحملانِ إلَّا صورة واحدة فقط.. صورتها.

الفصل الخامس والعشرون

أُريدُ أنْ أطلّعَ على السجلات الخاصّة بـ الآثار المُكتشفة، ابتداءً من الأسرة التاسعة وحتّى الأسرة الثانية عشر وأماكن تلكَ الاكتشافات.

نظرَ موظف هيئة الآثار المصريّة من خلف الزجاج الفاصل إلى ملامح (بدر) و ملابسه وشعره الأشعث، وأخذَ يتفحصهُ بالكامل وأخيرًا قال:

- نأسف يا سيّدي فالسجلات غير مُخصّصة للعرضِ على العامّة، يجب أنْ تكونَ أحد الأثريين، أو تحمل بطاقة عضوية لأحد النقابات المُختصة والمخول لها الإطلاع على مثل تلكَ السجلات.

مدَّ (بدر) يدهُ في جيبِ سُترتهِ وتنّهدَ بفراغِ صبرٍ وهو يُخرج حافظة نقوده، ويُقدّم لهُ بطاقة هيئة الآثار التي تحمل بياناته وصورته الشخصيّة.

- بالفعلِ أنا أحد أعضاء نقابة الأثريين، ولكنْ أعتذر بسبب ملابسي ومظهري العامّ، والسبب في هذا يرجع إلى أنَّني كُنتُ في اِحدى البعثات الاستكشافيّة لمُدّة شهرينِ مُتتالين، وقد أتيتُ من أسوان إلى هُنا مُباشرةً بحثًا عن بعضِ المعلومات.

أنزلَ الموظف منظاره الطبّي قليلًا وهو يتفحص صورة (بدر) في بطاقة الهويّة التي بيدهِ ويتطلع لهُ على الواقع، وأخيرًا أعطاهُ البطاقة وكذا اِحدى الشارات الخاصّة بالزائرين وهو يقول:

- حسنًا يا سيّدي يُمكنكَ ارتداء هذهِ الشارة الخاصّة الزائرين، والانتظار في الأماكن المُعَدَّة للانتظار، وسيأتي أحد الموظفين المُختصين ليرشدكَ إلى أماكن تلكَ السجلات، وهُنا في مقرّ الهيئة بالزمالك توجد السجلات الورقيّة فقط، ولكنْ إنْ أردتَ بحث تقني باستخدام الحاسوب يُمكن زيارة مقرّ الهيئة الجديد بالعاصمة الإداريّة الجديدة؛ فالمكان هُناكَ مُميكن بالكامل.

أشارَ لهُ (بدر) بيدهِ وهو يرتدي الشارة:

- لا، أعتقد أنَّ هذا المكان سيفي بالغرض.

أنهى عبارتهُ وتحرّكَ إلى المكان المُعدّ للانتظار، ولم تمضي دقائق قليلة حتّى كانَ أحد الموظفين المُختصين يصطحبهُ إلى قاعةٍ ضخمةٍ، مليئةٍ بالأرففِ الشبيهة بالمكتبات الضخمة من الأرض إلى سقف الغرفة، الذي يُناهز الستة أمتار، وأشارَ لهُ أنْ يتبعهُ إلى رُكنٍ قَصيٍّ؛ حيثُ أحد الرفوف والذي يحمل رقم (أ٩) ويليهِ آخر يحمل رقم (أ ١٠) فَهمَ (بدر) سريعًا أنَّ رمز (أ) المقصود بهِ أسرة والرقم هو خاصّ برقم الأسرة، فشكرَ مُرشده الذي تركهُ وانصرفَ بعدَ أنْ أكملَ مهمته.

وقفَ (بدر) ينظر إلى الأرفُف التي أمامهُ ويجول بنظرهِ فيها باحثًا عن بدايةِ بحثه، اقتربَ كي يقرأ التصنيف الفرعي لهذهِ الأرفف، حاولَ البحث بالترتيب الأبجدي عن أسماء الملوك، لكنَّ الأمرَ شاقّ أكثر ممّا تخيّل؛ إذ الترتيب بتاريخ الاكتشاف.

شعر بحركةٍ في الجهةِ المُقابلة لهذهِ الأرفف التي يقف أمامها، فمدَّ رأسهُ بينَ السجلات ينظر الى ما يتحرّك، طالعتهُ أعيُن من خلف عوينات طبيّة، فتراجعَ سريعًا وقد أجفل، ولكنْ سُرعان ما سمعَ صوتًا يتأسف لهُ عمّا حدثَ فنظرَ تجاه الصوت، كانَ شخصًا متوسط الطول، مُمتلئ الجسد قليلًا يتقدّم منهُ مُبتسمًا.

- أعتذر لكَ عمّا حدث، فقد كنت مُنهكًا في البحثِ وسقطَ القلم من يدي بينَ السجلات، فحاولتُ أنْ أمدَّ يدي لالتقاطهِ فأفزعتك.

معذرةً، فأنا هُنا مُنذُ ثلاثة أيَّام مُتتالية، وقد أنهكني البحث تمامًا.

أشارَ لهُ (بدر) بيدهِ اِشارة أنَّهُ لم يحدُث شيء، وكادَ أنْ يتركهُ وينصرف، ويبحث في الرفِّ الذي يليهِ ليترك لهُ المجال ليُتابعَ بحثه المُضني.

أوقفهُ هذا الشخص بأنْ وضعَ يدهُ على كتفهِ بحركةٍ سريعة، فالتفتَ لهُ (بدر) وهو ينظر إليهِ بإندهاش، فتلعثمَ الشخص وقال:

- آسف مرّة أُخرى، لكنَّني أردتُ أنْ أُساعدكَ فقط، فأنا طوال الثلاثة أيَّام الماضية قد تصفحتُ جُلّ مايخص هذهِ الأرفف تقريبًا، وخاصّة بعدَ نهاية عصر الإضمحلال الأوّل، ويُمكنني أنْ أُرشدكَ إلى ما تبحث عنهُ مُباشرةً.

جذبَ كلامهُ انتباه (بدر) فبالفعلِ هذا ما يبحث عنهُ، وهذهِ هي الفترة التي يبحث عنها بالتحديد، فسألهُ بلهفة:

- أُريدُ كُلّ ما يخص الاكتشافات المُتعلقة بالملك (بيبي الثاني) أو الملك (منتوحُتب الثاني)، أو أيّ ى اكتشافات تخص الإله (آمون) في تلكَ الحِقبة الزمنيّة.

حكَّ الشخص ذقنه بيدهِ اليُمنى، دلالةً على التفكير وابتسمَ وقالَ وهو يُشير إلى اِحدى زوايا الأرفف المواجهة لهم وقال:

- أعتقد أنَّ ما تبحث عنهُ يتواجد في هذا الرُكن؛ حيثُ أوّل مقبرة ملكيّة تمَّ العثور عليها بعدَ نهاية عصر الإضمحلال، وهي خاصّة بأحد الوزراء في عصر الملك (منتوحُتب الثاني) وأيضًا من وصف تلكَ المقبرة، فإنَّها تحمل جداريّة كاملة تصف كيفَ نجحَ أحد المُرسلين من الإله (آمون) في جعل الأرض تعود وتُخرج خيراتها، وذلكَ بمُساعدة كبيرة كهنة الإله (آمون).

هُنا اتسعتْ عينا (بدر) وتقدّمَ مُندفعًا نحوَ الشخص وأمسكَ بذراعيهِ بحماس:

- أجل، بالضبط هذا ما أبحث عنهُ، كبيرة الكهنة (إيمونت) أينَ هذا السجل؟

ابتسمَ الرجل الآخر وقال:

- أجل ، أتذكّر هذا الاسم جيّدًا (إيمونت)،

فتلكَ الشخصيّة غريبة فعلًا؛ فقد ذُكرت مرّات قليلة جدًّا وكانَ لذكرها تأثير كبير في كُلِّ مرّة تُذكر فيها.

وأنهى كلامهُ بأنْ اقتربَ من أحد الأرفف، وسحبَ كتابًا عملاقًا وناولهُ لبدر، الذي اختطفهُ بلهفةٍ واشتياقٍ وكأنَّهُ أحد مُدمني العقاقير وقد عثرَ على المُخدر المطلو ، وشرعَ يُقلّب صفحاته سريعًا.

فتابعَ الشخص حديثه وقال:

- أعتقد أنَّني أعرفُ شخصًا قد يُساعدكَ كثيرًا فيما تبحث، وخاصّة عن تلكَ الشخصيّة (إيمونت).

وهُنا رفعَ (بدر) رأسه عن السجل الذي بيده، ونظرَ بلهفةٍ إلى هذا الشخص وقالَ بانفعال:

- أجل بالطبعِ أكون شاكرًا لك.

- إنَّهُ صديقي الأثري (روبرت راؤف) هو أحد الأثريين المصريين العباقرة فعلًا في هذا المجال، وكنت أخوض نقاش طويل معهُ مُنذُ فترة حولَ شخصيّة (إيمونت)، وقد كانَ يملك حصيلة معلومات كبيرة جدًّا، وأنا شخصيّا قد استفدت استفادة عظيمة من هذهِ المعلومات في روايتي الجديدة التي أعمل عليها.

ولأوّل مرّة مُنذُ أنْ عادَ (بدر) إلى زمننا مرّة أُخرى ظهرت الابتسامة على وجهه، وتركَ السجل جانبًا وهو يعتدل ليُواجهَ هذا الشخص وتابعَ في لهفة:

- أرجوك، أخبرني أينَ أعثر على السيّد (روبرت راؤف)؟

عدّلَ الشخص من عويناتهِ الطبيّة وهو يقول:

- إنَّهُ الآن مُنتدب من قِبلِ هيئة الآثار؛ للإشرافِ على المُتحف المصري الكبير الجديد.

لم ينتظرهُ (بدر) أنْ يُكملَ الحديث، فتحرّكَ بسرعةٍ للخروجِ من قاعة السجلات، ولكنَّهُ توقف فجأة، ونظر تجاه هذا الشخص وقالَ وقد اكتست ملامحه بالخزي:

- آسف جدًّا، أنا حتّى لم أعرف اسمك، سامحني فأنا في عجلةٍ من أمري، والموضوع الذي أبحث عنهُ بالنسبةِ لي حياة أو موت.

ابتسمَ الشخص في هدوءٍ وقال:

- لا عليك، أُقدّر هذا، أنا (مايكل).. الكاتب (مايكل يوسف).

ابتسمَ (بدر) ومدَّ يدهُ مُصافحًا:

- تشرّفتُ بك، حقًّا تشرّفتُ بكَ وشُكرًا لك.

قالها وغادرَ مُنصرفًا بسرعةٍ إلى المُتحف المصري الكبير.

الفصل السادس والعشرون

- هذا تسيُّب وإهمال، ولن أصمت على ما حدثَ أبدًا.

سوفَ أُبلّغ نقابة الأثريين لشطبهِ ووقف قيدهِ منها.

ألقى الدكتور (وهدان) هذهِ الكلمات في وجهِ البعثة بالكامل، والتفتَ ونظر إلى (راتب) الذي يقف صامتًا مُمتقع الوجه، ينظر أرضًا.

- مهما حدثَ ومهما كانتْ الظروف، لا يترك أيّ فرد من أفرادِ البعثة موقع العمل، إلَّا بعدَ أنْ أسمحَ له، ولكنْ ما فعلهُ (بدر) لن يمُرّ مرور الكِرام، وأنتَ لماذا لم تُخبرني أو تُخبر مُساعدي بما حدث؟

غمغمَ (راتب) بإرتباك:

- لقد كانَ ظرفًا طارئًا يا دكتور، عمّه الكبير وآخر فرد في أسرتهِ مريض وعلى فِراش الموت، وقد تلّقى الخبر عن طريقِ الهاتف المحمول في أُولى ساعات الفجر، فكانَ من المُستحيل أنْ يتسبّبَ في إزعاج البعثة بالكامل، وأصدقك القول أنَّهُ كانَ متردّدًا في الذهابِ قبلَ أنْ يحصل على الإذنِ منكَ شخصيًّا، فلتُسامحني يا سيّدي، فأنا مَن أخبرتهُ أنَّكَ لن تُمانع في سفره، وسوفَ تُسامحهُ على فِعلتهِ عندما تعلم بما حدثَ لعمّهِ.

احمّرَ وجه الدكتور (وهدان) من شِدّةِ الغضب وصرخَ:

- أنتَ مَن فعلَ هذا؟

مَن سمحَ لكَ أنْ تتخذَ قرارًا كهذا؟

حسنًا، يبدو أنَّهُ ليسَ بدرًا وحده الذي سأتخذ ضده اجراء حازم.

والتفتَ إلى باقي البعثة وقالَ بصوتٍ يملؤهُ الغضب:

- هيّا لنتحرّك ليتخذَ كُلّ فردٍ موقعه، أمامنا عملٌ شاقّ وكثير، ولن نضيّع النّهار بأكملهِ في مثلِ هذهِ المُهاترات.

تحرّكَ أفراد البعثة كُلّ واحد إلى موقعهِ الذي تركهُ بالأمس، لإستكمال الأعمال، ولكن سُرعان ما تعالت الهمهمات بينَ العُمّال، ممّا جعلَ دكتور (وهدان) ينتبه لما يحدُث ويُشير لمُساعدهِ (زياد) أنْ يأتي.

- ماذا حدث؟

ولِمَ كُلّ هذهِ الثرثرة دونَ عمل؟

حكَّ (زياد) رأسهُ دلالةً على عدم فَهم أمر ما، وغمغمَ قائلًا:

- هُناكَ أمرٌ غريب يا سيّدي !

صرخَ بهِ الدكتور (وهدان) بغضب:

- هات ما عندكَ سريعًا، تحدَّث يارَجُل.

ازدردَ (زياد) لُعابهُ بصعوبةٍ وقال:

- لقد اختفت الآلات يا سيّدي، جميع الآلات، سواء آلات الحفر أو الاستكشاف، أو حتّى الأدوات البسيطة الخاصّة بتحديد الاتجاه مثل البوصلة ومُحدّد اتجاه الريح.

اتسعتْ عينا الدكتور (وهدان) في دهشةٍ وتمتمَ قائلًا:

- ماذا؟

اختفت؟!

هزَّ (زياد) رأسه بعلامة الإيجاب.

- كيف؟

هل تقصد سُرقت؟

أجابهُ زياد:

- لا أعلمُ يا سيّدي، ولكنْ من الصعبِ أنْ تُسرق كُلّ الآلات فجأة.

ثُمَّ إنَّ أغلب المُعدّات ليستْ بذاتِ قيمة ماديّة؛ إذ هي مُجرّد مُعدّات حفر.

كانَ الدكتور (وهدان) يستمع لهُ وعلامات الذهول ترتسم على وجهه، وبعدَ فترةٍ تساءلَ

إذًا أينَ المُعدّات؟

ولكنْ لم يجد إجابة من أحدٍ أبدًا، عدا شخص واحد فقط، يقف مع الآخرين يرسم على وجهه علامات الإندهاش

مثلهم، بينما هو السبب الرئيسي لإختفاء الآلات.. بل هو مَن أخفاها (راتب)!

- كيفَ يُمكنُني مُساعدتك؟

ألقى هذهِ العبارة رَجُل في أواخر الثلاثيّناتِ من عُمره، مُمتلئ الوجه، باسم الثغر، ودود تشعر معهُ بالراحة لمُجرّدِ الحديث.

هل حضرتُكَ أستاذ (روبرت راؤف).

قالها (بدر) مُتسائلًا:

- هزَّ (روبرت) رأسهُ بالإيجاب وقال:

- نعم أنا هو، هل من خدمةٍ أستطيع تقدمها لك؟

ابتسمَ (بدر) وأجابهُ:

- في الواقع قد أرسلني صديقٌ لك، كُنتُ أبحث عن بعضِ المعلومات، فأخبرني أنَّكَ مَن سيفديني فيما أبحث عنهُ.

ظهرتْ الدهشة على ملامح (روبرت) وسألَ (بدر):

- مَن هو؟

وماذا تُريد أنْ تعرف؟

أجابهُ (بدر):

- صديقك الكاتب (مايكل يوسف)، وكُنتُ أحتاج إلى معلوماتٍ عن شخصيّةٍ ظهرت في الفترة بعد عصر الاضمحلال الأوّل، أثناء حُكم الملك (بيبي الثاني) وحتّى الملك (منتوحُتب الثاني)، هي شخصيّة نسائيّة لم تُذكر كثيرًا، لكنَّها قد ذُكّرتْ في موقفٍ غريبٍ وعجيب!

ضحكَ (روبرت) بصوتٍ مُرتفع وقاطعَ (بدر)

(إيمونت).. أليسَ كذلك؟

- إنَّها ليستْ شخصيّة غريبة وعجيبة فقط، بل هي شخصيّة ساحرة ذات طابع خاصّ.

هزَّ (بدر) رأسهُ وقالَ في اِنفعالٍ واضح:

- أجل هي، أرجوك لو تملك أيّة معلومة عنها أو تعلم بأيّ اكتشافاتٍ تخصّها.

حكَّ (روبرت) ذقنه بيدهِ مُفكرًا وأجاب:

- في الواقع حتّى الآن لم نعثر على مقبرتها أو حتّى دلائل تُشير أينَ دُفنت، ولكنْ أعتقد أنَّ هُناكَ بعثة أثريّة بقيادةِ الدكتور (وهدان) الآن في أسوان، تبحث عن معبدِ الإله (آمون) الكبير الذي كانتْ هي كبيرة الكهنة بهِ آنذاك.

أجابهُ (بدر):

- أعلمُ هذا، وأنا أحد المُشاركين في البعثة، ولكنْ ليستْ هذهِ هي المعلومات التي أبحث عنها، أُريدُ أنْ أعلم عن ايّ اكتشافاتٍ أُخرى تخصّها، أو تتعلّق بها.

هزَّ (روبرت) رأسه في أسفٍ وأجاب:

- لا أعتقد أنَّ هُناكَ أيّ شيءٍ مُباشر يتعلّق بها قد تمَّ العثور عليه، ولكنْ أخبرني لماذا تبحث عنها أو عن أيّ شيءٍ يتعلّق بها؟

صمتَ (بدر) للحظات، و كادتْ أنْ تفلتَ دمعة حبيسة منهُ دونَ إرادته، ولكنَّهُ تمالكَ نفسهُ وقال:

- لا شيء، فقط من أجل العمل، شُكرًا لك، وآسف لإضاعةِ وقتك.

قالها واستدارَ مُغادرًا وهو يجرّ أذيال الخيبة.

لعنة الحُبّ.. هل تعلم أنَّها أوّل اِنسانة في التاريخ ذكرت أنَّها قد تمَّ لعنها بالحُبّ؟!

توقف (بدر) وتجمّدَ مكانهُ بعدَ أنْ ألقى (روبرت) على مسامعهِ هذهِ الكلمات، واستدارَ لهُ وملامحه تحمل أطنانًا من الذهولِ والدهشة.

فتابعَ (روبرت) حديثهُ قائلًا:

- أعتقد أنَّكَ هذهِ اللعنة.

الحقّ أقول لك، لم أتخيّل أبدًا أو أتوقع أنْ أرى مثل هذهِ الأمور في حياتي.

غمغمَ (بدر) بكلماتٍ مُتلعثمة:

- كيفَ عرفت؟

ابتسمَ (روبرت) ووضعَ يدهُ على كتفهِ رابتًا عليهِ:

- رأيتُ الحُبّ في عينيك.. بمُجرّدِ أنْ يتردّدَ اسمها، تلمع عيناك.

لقد مرّتْ أمامي برديّة عجيبة غريبة، تتحدّث عن لعنةِ (آمون) لها بحُبٍّ مُستحيل، ولم أُدرك المعنى إلَّا الآن!

ولكنْ صدّقني لا أعرف ما قد أُفيدك بهِ أكثر.

مرّت فترة من الصمت، ابتسمَ (بدر) فيها لروبرت وصافحهُ وشكرهُ على ما قالهُ له، وهمَّ بالانصراف، وفجأة أوقفهُ (روبرت) وقال:

- أعتقد هُناكَ معلومة قد تُفيدك.

ظهرتْ الفرحة على ملامحِ (بدر) وصرخَ بإنفعال:

- ائتني بها.

تابعَ (روبرت) حديثه:

- هُناكَ معلومة لا أعلم مدى صّحتها، وهي أنَّ (إيمونت) كانتْ تمتلك نُسخة من كتابِ الموتى، وهو كما تعلم أقوى كتاب سّحر حتّى وقتنا هذا، ولم نعثُر على نسخةٍ كاملةٍ منهُ، فقط بعض البرديّات المُنفصلة، ويُقال أنَّها الوحيدة التي كانتْ تمتلك نُسخة كاملة.

اتسعتْ عيناهُ في ذهولٍ وضربَ جبهتهُ بيدهِ وصرخَ:

- كتاب الموتى!!

كيفَ نسيتُ هذا؟

وقفزَ يُعانق (روبرت) في سعادةٍ والأخير قد ألجمتهُ المُفاجأة، ولم يترك (بدر) لهُ فرصة بل انطلقَ مُسرعًا دونَ حتّى أنْ يودّعهُ.

ممّا جعلَ (روبرت) يضحك قائلًا:

- بالفعلِ الحُبّ لعنة.

قالها وضحكَ وهو يُشاهدُ بدرًا وهو يُهرول مُسرعًا يُحاول أنْ يسبق الزمن.

الفصل السابع والعشرون

تعالى رنين هاتف (راتب) وهو يقف بينَ أعضاء الفِرقة الاستكشافيّة، حيثُ كان يجتمع بهم الدكتور (وهدان) لمُناقشةِ آخر التطورات، فضغطَ سريعًا على زرِ كتم الصوت ونظرَ إلى شاشة الهاتف ليجد رقم غريب، فأدركَ أنَّهُ من المؤكد أنْ يكونَ (بدر)، فانسلَّ بهدوءٍ دونَ أنْ يشعر بهِ أحد، وابتعدَ لمسافةٍ وتوارى خلفَ إحدى الخيام المُعدّة للمبيت، ووضعَ الهاتف على أُذنهِ وهو يُخرج رأسه؛ ليُراقبَ اجتماع أعضاء البعثة، وبالفعلِ كانَ (بدر).

- كيفَ حالكَ يا صديقي؟

هل أنتَ بخير؟

هل نجحتَ في العثورِ أو الوصولِ إلى أيّة معلومات؟

ماذا؟!!

أنتَ في الطريقِ الآن!

- حسنًا.. حسنًا

ونظرَ في ساعةِ يدهِ وتابعَ قائلًا:

- حسنًا.. ساعة بالضبط وسأكون هُناك، هل تُريدُ منّي أنْ أُحضرَ أيّة أغراض.

حسنًا، تصل سالمًا بإذن اللَّه.

أنهى عبارتهُ وأغلقَ الهاتف ووضعهُ في جيبِ سُترتة، وتحرّكَ بهدوءٍ وعادَ مرّة أُخرى إلى الاجتماع، وجلسَ في مكانهِ مُستمعًا.

قد أرسلَ الدكتور (وهدان) في طلبِ مُعدّاتٍ جديدة من القاهرة، وموعد وصولها المُقرر غدًا صباحًا، ولكنَّهُ اجتمعَ بأفراد البعثة الآن لمُناقشةِ أسباب اختفاء المُعدّات، ومَن ألمُتسبّب في هذا الاختفاء.

رسمَ (راتب) البراءة والذعر على ملامحهِ ورفعَ يدهُ مُقاطعًا حديث الدكتور (وهدان)، فأشارَ لهُ الأخير بالتحدُّث.

- لعلّها تكون (إيمونت) هي السبب، وتلعثمَ عن قصدٍ وتابع:

- قد تكون تلك هي لعنتها لنا، كَعادة ما نسمع في مثل هذهِ الرحلات الاستكشافيّة، مثلما حدثَ من يومينِ تقريبًا وشاهدها أحد العُمّال أثناء نوبة حراسته.

تعالت الهمهمات بينَ الحضور بعدَ ما قالهُ (راتب) وتصاعدت وتيرة الأحاديث الجانبيّة وسادتْ حالة من الهرج والمرج.

ممّا جعلَ الدكتور (وهدان) يضرب بقبضةِ يدهِ على الطاولة التي أمامه، فصمت الجميع:

- ما هذهِ التُرّاهات التي تتحدثونَ عنها؟

نَحنُ رّجال عِلم، ولا وجود لمثل هذهِ الخُرافات في مجالنا.

وأشارَ لهم بيدهِ وتابع:

- هيّا ليذهبَ الجميع إلى خيامهم، للاستيقاظ باكرًا، أمامنا عمل كثير غدًا يكفي إضاعة وقت ويومًا كاملًا ضاعَ هباءً.

تحرّكَ الجميع بعدَ عبارتهِ الأخيرة، واتجهت كُلّ مجموعة إلى الخيمة الخاصّة بها، حتّى (راتب) فعل مثلهم، ودخلَ الخيمة وظلَّ مُنتظرًا أنْ يخلد الجميع إلى النوم، وبالفعلِ مرّتْ نصف ساعة وسادَ الهدوء تمامًا، حتّى تحرّكَ بخفّةٍ وهدوء، وتجاوزَ منطقة الحراسة واتجهَ حيثُ مكان غُرفة العطايا في المعبد، وبمُجرّدِ أنْ وصلَ إلى هُناكَ حتّى أخرجَ هاتفهُ وأجرى اتصالًا بنفس الرقم الذي حدّثهُ منهُ (بدر).

- أنا هُنا يا صديقي في انتظارك.

التفتَ للخلفِ إلى مصدرِ الصوت، فإذ ببدرٍ يقف خلفه وتعانقا.

- أخبرني كيفَ كانت رحلتك؟

هزَّ (بدر) رأسهُ وقال:

- موفقة إلى حدٍّ ما ولكنْ بدايتها ونهايتها هُنا يا صديقي.

هيّا لنتحرّك سريعًا يجب أنْ أهبط إلى الغُرفة سريعًا، أُريدُ أنْ أبحث عن شيءٍ مُهم جدًّا جدًّا.

كسَتْ الدهشة ملامح (راتب) ممّا جعلهُ يتساءل:

- ما هو (بدر)؟

صمتَ الأخير قليلًا ثُمَّ قال:

- كتاب الموتى.

سقطَ فكّ (راتب) في ذهولٍ وتمتمَ:

- ماذا؟.. كتاب الموتى؟!

هل تمزح؟

بالتأكيدِ تمزح، هل تعلم لو عثرنا على هذا الكتاب ماذا سيحدث لنا؟

سوفَ نُصبح من أغنى أغنياء مصر، وليسَ مصر فقط، بل من أغنى أغنياء العالم.

أوقفهُ (بدر) وأمسكَ بذراعهِ ليُخرجهُ من أحلامهِ وقال:

توقف عن الأحلامِ الآن، وهيّا بنا.

تحرّكا بسرعةٍ وتعاونا حتّى هبطا إلى الغُرفةِ مرّةً أُخرى، هبطَ (بدر) أوّلًا ولحقهُ (راتب) الذي ما أنْ هبطَ حتّى بحثَ عن بدرٍ وهتفَ باسمهِ ولكنْ دونَ مُجيب.

تسللَ القلق إلى قلب (راتب) خوفًا على صديقه، فبمُجرّد أنْ تخلّصَ من الحبال التي هبطَ بها حتّى تحرّكَ بحثًا عنه.

وجدهُ يقف أسفل الجدار الكبير، أسفل صورتها مُباشرةً، صورة (إيمونت).

يقف صامتًا واضعًا يدهُ على الجدار، يُحاول أنْ يلمسها.

شعرَ (راتب) بصديقِ عُمرهِ وبما يجول بصدره، فتوقفَ قليلًا كي يتركَ فرصة لصديقهِ أنْ يُفرغَ مشاعره، وتحرّكَ بهدوءٍ حتّى اقتربَ منهُ من الخلف، ووضعَ يدهُ على كتفهِ رابتًا.

التفتَ إليهِ (بدر) وهو يمسح عبرة قد سقطت من عينه، وتحرّكَ مُسرعًا وهو يُشير إلى (راتب) مُغيّرًا دّفة الحديث.

- ابحث معي عن صندوقٍ أسودٍ متوسط الحجم يزدان بنقوشٍ عن الإله (آمون).

تحرّكا بهدوءٍ حتى لا يتسبّب في خسائر بينَ كُلّ هذهِ المُقتنيات الثمينة التي تملأ الغرفة، ويسيل لها لُعاب أيّ عالم آثار، أو مُستكشف أو حتّى هاوي، أو مُحبّ للحضارة المصريّة القديمة.

عملية شاقّة وقد مرَّ وقتٌ طويل نسبيًّا حتّى صرخ (بدر) فجأة:

- ها هو.

لقد عثرتُ عليهِ.

أسرعَ (راتب) تجاه صديقه وتعاونا معًا على إخراج الصندوق من مكانهِ أسفل العديد من القطع الأثريّة التي تعلوه.

كانَ الصندوق برغم حجمهِ المتوسط، إلَّا أنَّهُ ثقيل حتّى أنَّ أنفاسهما تقطعت بعدَ أنْ وضعاهُ في مساحةٍ فارغة؛ كي يستطيعا إخراج محتوياته.

توقفا قليلًا لإلتقاطِ أنفاسهما، ومدَّ (بدر) يدهُ يعبث بالرتاج الخاصّ بهِ، كانَ مُغلقًا بطريقةِ الأختام الملكيّة الخاصّة بالمُقتنيات الملكيّة.

بهدوءٍ وإتقان قامَ بفكِّ اللفائف حتّى نجحَ في فتح الرتاج دونَ أنْ يتسبّبَ في اِتلافهِ أو اِتلاف الصندوق نفسه.

وقامَ بفتحِ الغطاء بهدوء، ونظر للداخل،

واتسعتْ عيناه.. كانتْ الرقعة الجلديّة موجودة كما هي دونَ أنْ يُصيبها التلف أو التآكل، بقيت كما وضعتها (إيمونت) بنفسها أعلى كتاب الموتى.

مدَّ يدهُ بهدوءٍ وحذر، وأزاحَ الرقعة الجلديّة، وأخرج الكتاب بينَ يديه، وأنفاسه تتلاحق ورفع الكتاب أمامَ عيني صديقه، الذي أصابهُ الشلل التامّ والبكم أيضًا، فلم ينطق بحرفٍ واحدٍ أو يتحرّك قيد أُنملة.

قد كانَ الكتاب موصدًا برتاجٍ يغلق صفحاتهِ جيّدًا ليحميهِ، أمسكَ الكتاب على ذراعهِ اليُمنى، وبيدهِ اليُسرى أزاحَ الرتاج وفتحَ غلافه.

لتتسع عيناهُ في انبهارٍ تامّ، فالذي رآهُ لا يُمكن تصديقه أبدًا.. هاتفه المحمول الذي تركهُ معها قبلَ أنْ يقذف بهِ (آمون) مرّة أُخرى إلى زمنه، وبحالتهِ الأصليّة وكأنَّهُ لم يتركهُ لحظة.

ليسَ هذا ما أصابهُ بالذهول، ولكنْ خرطوشة ذهبيّة بجوار الهاتف، خرطوشة ذهبيّة بحجمِ كفّ اليد، مدوّن عليها عبارة باللغة الهيروغليفيّة التي لم تصعُب عليهِ قراءتها.

عبارة واحدة فقط، ولكنَّها نجحت أنْ تكسرَ ما تبّقى من تماسكهِ!

قرأ بصوتٍ مُرتفع:

- (إيا-رع) حبيب الروح ومهجتها اشتقتُ إليك.. محبوبتكَ للأبد (إيمونت)، وانهمرَ دمعه.

الفصل الثامن والعشرون

مرّتْ فترة طويلة من الصمت بعدَ أنْ فتحَ (بدر) الصندوق، احترمَ (راتب) مشاعرهُ وتركهُ يُفرغ اِنفعاله، ولم يُقاطعهُ أو يُحاول أنْ ينبسَ ببنتِ شفة.

حتّى اعتدلَ (بدر) ونظرَ لهُ وهو يمسح دمعهُ بيدهِ قائلًا:

- هل رأيتَ حُبّها لي؟

هل تُصدّق برغم كُلّ تلكَ السنين وبرغم الاختلاف التامّ في النواحي.. مازالت تحبّني،

وصمتَ قليلًا ونكّسَ رأسه وظهر الأسى على ملامحهِ وتابع:

- أو.. كانتْ تحبّني.

اقتربَ منهُ (راتب)، ووضع يدهُ على رأسه:

- لا تفقد الأمل يا صديقي، فمعكَ الآن أعظم كُتب السّحر على مرّ التاريخ، وبالتأكيد هُناكَ حلَّ.

وظهرَ التأثر على ملامحهِ هو الآخر وقالَ بصوتٍ أقرب للنحيب:

- وتعود إليها حتّى لو يعني هذا أنْ نفترق ولا أراكَ مرّةً أُخرى.

نظرَ لهُ (بدر) نظرة عرفان ومحبّة صادقة وتعانقا، لكنَّ (راتب) قد سحبَ نفسهُ مبتعدًا قبلَ أنْ يترك الأمر يخرج عن السيطرة وتنهمر عبراتهِ هو الآخر.

أشارَ تجاه الكتاب وقال:

- هيّا أسرِع.. اعثر على الحلّ بسرعة.

فتحَ (بدر) كتاب الموتى، وأخذَ يتصفح أوراقهُ المصنوعة من جلود الحيوانات وبعض الصفحات من البردي.

أغلب صفحاتهِ عبارة عن صلواتٍ للميّتِ؛ كي تُرشدهُ في العالم الآخر أو تُساعدهُ على تذكّر مَن هو ومَن أهله، وبعض الصلوات خاصّة بتذكّر الإله، وصلوات خاصّة من أجل الميّتِ تُساعدهُ في الحصولِ على كُلّ ما يُريد من قوتٍ وأشياء في العالم الآخر.

وفي آخر الكتاب كانتْ هُناكَ صلوات خاصّة برغم معرفة (بدر) و(راتب) التامّة باللغة المصريّة القديمة، ومُشتقاتها مثل الهيراطيقيّة والديموطيقيّة لكنَّهما لم يستطيعا فَهم هذهِ الصلوات أو حتّى إدراك ماهيتها.

بعدَ العديد من المحاولات الفاشلة لفهم الصفحات، ارتمى (بدر) أرضًا في يأسٍ واضح واستلقى بجوارهِ (راتب)، كانا يجلسان متجاورين ظهريهما لأحد جدران الغرفة، يُفكرانِ ويُحاولان إيجاد حلًّا لهذا الأمر، وفجأة التفتَ (راتب) إليهِ وقالَ بإنفعال:

- الهاتف!

نظرَ لهُ (بدر) والدهشة تكسو ملامحه وغمغم:

- ما بهِ؟

ذفرَ (راتب) بنفاذِ صبرٍ وتابع:

- هل كانَ لازالَ يعمل عندَ رحيلك؟

هزَّ (بدر) رأسه بعلامة الإيجاب وقال:

- لقد أدركتُ من اللحظةِ الأُولى أنَّني لن أستطيع أنْ أشحنَ بطاريته مرّة أُخرى، لهذا كُنت أُطفئهُ باستمرار ولا أقوم بتشغيلهِ إلَّا في الضرورة القصوى، أو اِلتقاط ذكريات لي معها.

تحوّلت ملامح (راتب) إلى الفرحِ وصرخ:

- الحلّ في الهاتف يا صديقي، لو كانَ يعمل حينَ تركتهُ فبحكم ما رأيتهُ من تصرّفاتِ (إيمونت) وسمعتهُ عنها فهي ذكيّة جدًّا، ويُمكن أنْ تكونَ قد تركتْ لكَ رسالة على الهاتف والدليل هذهِ الخرطوشة يا صديقي.

قالها وأشارَ إلى الخرطوشة الذهبيّة التي كانتْ موضوعة أعلى الهاتف وتابعَ بحماس:

- انظر جيّدًا، أليستْ تُشبه تصميم الهاتف بالضبط؟ والكتابة عليها.. ألا تُشبه الكتابة على شاشةِ الهاتف.

اتسعتْ عينا (بدر) في ذهولٍ لما يقول:

- معكَ حقّ، بالفعلِ تُشبه شكل الهاتف تمامًا،

و(إيمونت) عبقرية، أعتقد أنَّها قد تفعل هذا بالفعل.

وصمتَ قليلًا وهو يُمسك الهاتف بيدهِ وتابع:

- ولكنْ هل تعتقد أنَّ الهاتف سوفَ يعمل بعد كُلّ هذهِ السنوات؟

- بالتأكيد لن يعمل يا صديقي، فعوامل التعرية والرطوبة، ليسَ هذا فحسب، بل من الخواص الكيمائيّة للمواد الداخلة في تصنيعهِ ومرور فترة عُمر النصف، بالتأكيد تغيّرت خواص مُركباته وأصبحَ كُتلة صماء لن تعمل مرّة أُخرى.

حكَّ (راتب) ذقنه مُفكّرًا، وقامَ من مكانهِ وأمسكَ حقيبته الصغيرة التي تحوي مُعدّاتهِ وأدواته الشخصيّة، وأخرجَ منها بنك طاقة صغير والمُعدّ للشحن في حالات الطوارئ وهو يقول:

- حسنًا، لن تضرنا التجربة، بالتأكيد هُناكَ طريقة.

نظرَ لهُ (بدر) في شكٍّ ممّا يقول، ولكنَّهُ استسلمَ لهُ في نهاية الأمر، وأعطاهُ الهاتف، ثُمَّ قامَ (راتب) بتوصيلِ بنك الطاقة بهِ، وظلَّ مُنتظرًا على أمل أنْ يستجيبَ الهاتف، طالَ انتظاره أكثر من اللازمِ بلا أيّ استجابة.

ظهرَ اليأس على وجههِ وجلس مرّة أُخرى بجوار صديقه، وفجأة انتفضَ (بدر) من مكانهِ وصرخ:

- معكَ حقّ، هُناكَ طريقة.

قالها وهو يُشير لهُ أنْ يتبعه، وقامَ باختطاف الهاتف ووضعهُ في جيبِ سُترتهِ وأمسكَ بالحبال وبدأ رحلة الصعود، تبعهُ (راتب) دونَ تردّد ودونَ أنْ يسأله.

قد شارفتْ الساعة على الثانية عشر بعدَ مُنتصفِ الليل، وأسرعا الخُطى نحوَ الطريقِ العامّ، ومنهُ استقلّا سيّارة عابرة إلى أقرب قرية عامرة بالسكان.

وبمُجرّد وصولهما كانتْ القرية شِبه خالية من البشر، ففي هذا التوقيت بمُحافظاتِ الصعيد يصعب تواجد أحد بعد الساعة العاشرة مساءً.

لم ييأس (بدر) وبالفعلِ عثرَ على إحدى المقاهي الصغيرة التي أوشكتْ على الإغلاق، وأسرعا الخُطى إليها، وجدا شابًّا صغير السن يقوم بعملية النظافة الليليّة وهو مَن يتولّى إغلاق المقهى يوميًا.

- مساءُ الخير، هل يُمكنكَ إرشادنا إلى إحدى المحال المُخصصة لصيانة الهواتف المحمولة؟

نظرَ لهما الشابّ في شكٍّ وريبة وقال:

- الوقت متأخر جدًّا ولن تجد أحدًا إلَّا صباحًا.

اقتربَ منهُ (بدر) وتحدّث بلهجةٍ كُلّها رجاء:

- أرجوك، إنَّها مسألة حياة أو موت، وهاتفي قد أصابهُ العطب وأحتاج إلى الأشياء المُخزنة علية.

تردّد الشابّ قليلًا ثُمَّ قال:

- هُناكَ (محمود) عبقرى القرية، وهو يسهر للصباحِ في منزلهِ أمام شاشة حاسوبه، وهو عبقري في هذهِ الأمور.

ابتسمَ (بدر) وقالَ بلهفة:

- أرشدنا إليهِ سريعًا أرجوك.

قامَ الشابّ بوصف الطريق لهما حتّى منزل ذلكَ المدعو (محمود)، القرية نظيفة وليستْ ذات طُرق عشوائية بل قرية مُنظمة، فلم يستغرق الطريق أكثر من خمس دقائق.

منزل (محمود) قد شُيّدَ على الطريقة الأسوانيّة الجميلة، ليسَ كمنازل المدن، مكوّن من طابقينِ ولكنَّهُ منزل واحد فقط، تسكنهُ أُسرة واحدة.

من حُسنِ الحظّ أنَّ الشابَّ قد أخبارهما أنَّ (محمود) يسكن بمُفردهِ وخاصّة بعدَ وفاة أُمّهِ العجوز، وهُنا شعر (بدر) بوجه الشبه بينَ حاليهما وتذكّرَ أُمّه.

وصلا بالفعلِ إلى المنزل وقامَ (راتب) بالطرقِ على الباب، وابتعدا قليلًا في انتظار الاستجابة، دقائقَ معدوداتٍ وقد فُتِحَ الباب؛ ليكشف عن مَن خلفه، شابّ أسمر البشرة بملامحٍ نوبيّة أصيلة ومُميّزة.

بعدَ أنْ شرحَ لهُ (بدر) الأمر باختصار، أشارَ لهما أنْ يتبعاهُ إلى الداخل، منزل صغير نظيف كَعادةِ أهل النوبة وأسوان، قادهما إلى غُرفةٍ جانبيّة تعجّ بالأجهزة الحديثة ومُعدّات الصيانة.

جلسوا جميعًا على مقاعدٍ قريبة، حاولَ أنْ يُقدّمَ لهما أيّ مشروب فرفضا لضيقِ الوقت، ناولهُ (بدر) الهاتف، وشرعَ بفحصهِ وتحدّثَ أخيرًا:

- الهاتف بحالة جيّدة ظاهريًّا، لكنَّ آثار القِدم واضحة عليهِ وكأنَّهُ قد تُركَ لمائةِ عامٍ دونَ استخدام، وهذا غريب، إذ أنَّ هذا الموديل حديث نسبيًّا.

أجابهُ (بدر) مُوضحًا ومُحاولًا أنْ يشرحَ لهُ:

- الأمر صعب الشرح، لكنَّ الهاتف قد تعرّضَ بالفعلِ لظروفٍ قاسية كَمثلِ ما قد تفعلهُ الآف السنون بالمُعدّات، كُلّ ما نُريدهُ هو استخراج ما تحويهِ ذاكرته من صورٍ ومقاطعٍ مُصوّرة فقط دونَ اِصلاحهِ هو نفسه لو تطلّبَ الأمر.

ظهرَ التفكير مليئًا على ملامح (محمود) وقال:

- لو الأمر كذلك فهو بسيط بإذن اللَّه.

قالها وتحرّكَ من جوارهم، وجلسَ خلف مكتبهِ الخاصّ بعملهِ وشرعَ في تفكيك الهاتف تمامًا، وقامَ بتوصيل بعض الأطراف والأسلاك، باللوحة الأُمّ الخاصّة بالهاتف وظلَّ يُتابع البيانات التي تظهر على شاشة حاسوبه، وبعدَ مرور عِدّة دقائق أخبرهم أنَّهُ بالفعلِ استخرجَ كُلّ ما تحويهِ ذاكرة الهاتف من صورٍ ومقاطعٍ مُصوّرة.

وبلهفةٍ تقدّما من شاشةِ الحاسوب وأشارَ لهُ (بدر) أنْ يعرضَ ما تمَّ استخراجه، أخذَ الشابّ يعرض ما كانَ مُخزنًا ومرّت صور كثيرة تُمثّل (بدر)، وأُخرى لهُ معَ أُمّهِ وأُخرى معَ راتب، وأخيرًا صور من أرضِ مصر قديمًا وهُنا أشارَ لهُ (بدر) أنْ يبطئ التصفُح قليلًا.

مرّت الصور حتّى وصلَ إلى مقطعٍ مصوّرٍ يحمل صورة وجهها.. (إيمونت)، صرخَ (بدر) بلهفةٍ:

- توقف، اعرض هذا المقطع المصوّر.

جزعَ (محمود) لكنَّهُ تدارك سريعًا وقامَ بتشغيل المقطع المصوّر، والذي يُمثّل فتاة بملامح وزيّ فرعوني تملك من الجمال ما يعادل نصف فتيات الأرض، ترتدي تاج ذهبي وتُمسك الهاتف وتبتسم وتقول بهدوءٍ وبلغةٍ مصريّة قديمة:

- (اِيا-رِع)، حبيب الروح، أعلمُ أنَّك تراني الآن.. أُحِبُّك.

الفصل التاسع والعشرون

- إنَّها عبقريّة.

صرخَ (راتب) بهذهِ الجُملة وقفزَ من مكانهِ في سعادةِ طفلٍ صغير أحضرَ ذويهِ اللعبة التي يُريدها، في هذهِ اللحظة اقتربَ (بدر) من شاشة الحاسوب، وكادَ أنْ يدخلَ إليها ويضمّها بينَ ذراعيهِ، ولكنَّهُ تمالكَ نفسهُ سريعًا ونظرَ تجاه (محمود) وهو يبتسم قائلًا:

- حقًّا أنتَ عبقري كما أخبرنا الشابّ، شُكرًا لك، والآن انقل هذهِ الملفات إلى هاتفي الجديد هذا.

قالها وهو يُخرج هاتفهُ الجديد من جيب سُترته ويناولهُ إيَّاه، فقامَ بتوصيلهِ إلى الحاسوب وشرعَ في نقلِ الملفات، وبمُجرّدِ أنْ انتهى أعطى الهاتف لبدر، ونفحهُ الأخير أجرهُ الذي طلبهُ منهُ وانصرفا، بعدَ أنْ تأكدَ (بدر) أنَّهُ قد حذفَ أيّ أثر لهذهِ الملفات من حاسوبِ (محمود) مع وعدٍ منهُ ألَّا يُطلعَ أحدًا عليها، ممّا حعل (بدر) يقوم بإعطائهِ أجر اِضافي نظير أنْ يبقى الأمر سرًّا.

لم يَكُن من الصعبِ العثور على سيّارة أجرة على أطراف القرية، أعادتهما إلى أقربِ نقطة يُمكن أنْ يُكملا المسير منها، وفي ذاتِ الوقت بعيدة عن موقع المعبد حرصًا على سلامة المكان، ولا يُثيرانِ الشُبهات حولَ ما يفعلانِ هُناك.

وصلا إلى الغُرفة الخاصّة بالعطايا مرّة أُخرى، وبمُجرّد نزولهما من سقفِ الغُرفة عادا إلى مكانيهما بجوارِ الصندوق الخاصّ بحفظ كتاب الموتى، واستقرّا بجوارهِ أرضًا.

أخرجَ (بدر) هاتفهُ وتصفح الملفات حتّى وصلَ الى الملفات التي تمَّ نقلها حديثًا، فوجدَ مقطعينِ لها قد تمَّ تسجيلهما، أحدهما مُدّتهُ صغيرة عبارة عن دقيقةٍ واحدة وهو ما شاهدوا منهُ جزءًا أثناء وجودهما مع (محمود)، وأمَّا الآخرُ فمدّتهُ اثني عشرَ دقيقة كاملة، أدركَ (بدر) أنَّ الأوّل هو كلام موجه لهُ شخصيًّا، وأنَّ الآخر بهِ شيءٌهامّ أو شرح لطريقةٍ ما قد تُساعدهما، فقامَ بتشغيل المقطع الطويل، كانتْ هي بنفسِ زيّها الكهنوتي الأحمر، الذي يُضفي عليها رهبة وجمالًا يفوق جمالها الربّاني الأخّاذ.

تقف في مكانٍ يعلمهُ جيّدًا، إنَّهُ الكهف الذي أنقذها منهُ، وحملها إلى المعبد بعدَ أنْ كانتْ تُصلّي للآلهة (ورت-حكاو) ربّة السّحر، وقد وضعتْ الهاتف المحمول في رُكنٍ بذلكَ الكهف، واستدارت واقتربتْ من عدسة الكاميرا وقالت:

- مهجة القلب والفؤاد، مُنية الروح (إيا-رع)، مالك قلبي، أنصِت لي جيّدًا فما أقوم بفعلهِ الآن هو بمثابة كُفر ورفض لمُقدرات الإله (آمون)، ولكنْ هو مَن لعنني بكَ وبحبَّك، الآن يجب أنْ تصل إلى كهف (غريو حبّ)، وهُناكَ تقف أمام الإله (ورت-حكاو) ويجب أنْ يكونَ الليل قد حلّ وتقرأ التعويذة الثالثة من كتاب الموتى، تقرأها ثلاث مرّات مُتتالية ، دونَ خوفٍ أو هلعٍ مهما حدثَ ومهما رأيت،

وأنا سوفَ أفعل المثل تمامًا، ولكنْ بينَ الأرباب والآلهة، لا يهم الزمن فالدهر كُلّهُ هو بالنسبةِ لهم مضيق يعبرونهُ متى يشأوون، لذا حينما تراني أكون بالتاكيد أتممتُ الصلوات، وحينَ تفعل المثل، ستفتح الإله (ورت-حكاو) نافذة بينَ عالمينا مرّة أُخرى، نستطيع أنْ نلتقي منها مُجدّدًا.

ولكنْ تذكّر، لا تهلع ولا تخف مهما حدث، وكُن وحيدًا كما أنا الآن.. في انتظاركَ يا مُنية القلب.

انتهتْ من الحديث والتفتت إلى التمثال وشرعت تقرأ التعويذة بهدوءٍ وخشوع، وكأنَّها تمثال من الحجر دونَ أنْ تجفل أو تهتز، وفجأة انتهى المقطع المصوّر، أدركَ (بدر) أنَّ بطاريّة الهاتف قد نفذت منها، ولكنَّهُ حمدَ اللَّهَ في سرّهِ أنْ نجحت في أنْ تُبلّغهُ رسالتها بالكامل.

وما أنْ انتهى من عرضِ المقطع حتّى نظرَ إلى (رات) وقال:

- يجب أنْ أتحرّك سريعًا أنا أعرف هذا المكان وهو قريب من هُنا.

نظرَ لهُ (راتب) دهشة وقال:

- تقصد نتحرّك أليسَ كذلك؟

صمت (بدر) لم يجد ما يقولهُ لصديقِ عُمره، استجمعَ شجاعتهُ أخيرًا وقال:

- لا يا (راتب) سوفَ أذهب بمُفردي تمامًا، لقد استمعتَ إلى تحذيرها، والأمر جدّ خطير، اسمعني يا صديقي أنا أصبحتُ وحيدًا

الآن ليسَ لي في هذهِ الدُّنيا إلَّا هي، وأنا أُريدُ أنْ أحيا معها ولا أُريدُ هذا الزمان ولا هذهِ الدُّنيا، لقد عثرت على حياتي معها يا (راتب)، وأنتَ شابّ أمامك طريق كبير في محالنا، وخاصّةً بعد أنْ تُعلن عن اكتشافكَ لهذا المكان بالكامل، فأنتَ من حقَّك نسبة ١٠ % من قيمة هذهِ الآثار، ليسَ هذا فحسب، بل ويُصبح اسمك من أبرز الأسماء في مجال الآثار والبعثات الاستكشافيّة، ليسَ في مصر فقط، ولكنْ في العالم أجمع.

استمعَ (راتب) لهُ وهو في ذهولٍ تامّ لما يقول، فلم يَكُن يتخيّل أبدًا أنْ تكونَ هذهِ هي النهاية، ترقرقت العبرات في عَينيهِ وهو يقول بصوتٍ مُتهدّج:

- وهل تعوّضني كُلّ كنوز الدُّنيا عنكَ يا صديقي، أنتَ لست صديق فقط يا (بدر)، أنتَ أخي وأُمّكَ كانتْ أُمّي _رَحِمَها اللَّه_ أنتَ أُسرتي كلّها وحياتي، فلا أحدَ لي غيرك، هل بكُلّ ما خضناهُ سويًّا تتركني الآن؟!

سقطتْ عبرة من عَينِ (بدر) حاولَ بكُلِّ ما أوتي من قوة أنْ يمنعها، لكنَّ إرادتها غلبت إرادتهِ وانطلقت تفيض كَنهرٍ صغيرٍ يشقّ طريقهُ بينَ الصخور، ولم يشعر بنفسهِ إلَّا وهو يحتضن (راتب) ويفرغا مشاعرهما.

وأخيرًا تراجعَ (بدر) وهو يحمل كتاب الموتى بينَ يديه، ويتناول هاتفه الذي قد وضعهُ أرضًا، ويتحرّك باتجاه فُتحة السقف ونظرَ إلى (راتب) قائلًا:

- إلى اللقاء يا صديق العُمر.. مَن يعلم قد نلتقي مرّةً أُخرى.

أبتسمَ لهُ (راتب) رغم دمعه وقال:

- أمازلت مُصمّم على اختيارك؟

ليكُن ما أردتَ يا صديقي وأنا في انتظاركَ مهما طالَ الزمن، سأكون في انتظاركَ يا صديقي.

ابتسمَ (بدر) وهو يُمسك بالحبل وقالَ قبلَ أنْ يبدأ رحلة الصعود:

- باذن اللَّه يا صديقي.. بإذن اللَّه نلتقي على خير.

الفصل الثلاثون

سارَ (بدر) لمسافةٍ كبيرة نسبيًّا، لقد تغيّرتْ معالم المنطقة تمامًا، فقد اختفت الكُثبان الرمليّة وحلَّ محلّها جبال متوسطة الطول وكذا أشجار.

أصبحَ الأمر صعبًا بالنسبةِ لهُ في العثورِ على ذلكَ الكهف، جالَ بخاطرهِ أنْ يكونَ قد تمَّ اكتشافه، أو أنْ يكونَ قد تدمّرَ أو طُمسَ خلال الآف السنين الماضية، وعندما وصلَ تفكيره إلى هذهِ النقطة شعرَ بغصّة في حلقه، حاولَ أنْ يُطمئنَ نفسهُ أنَّ هذا لم يحدث، ومرّت أكثر من ساعتينِ تقريبًا وهو يُحاول أنْ يعثر على الكهف ولكنْ دونَ جدوى.

أدركهُ الإرهاق والتعب، وخاصّة بعدَ أنْ تكبدت الشَّمس وسط السماء، وشعر بلفيحها يضرب رأسه، اقتربَ من شجرةٍ متوسطة واستظلَّ بها، مُحاولًا أنْ يحتمي من أشَّعة الشَّمس.

أخرجَ قنّينة مياه صغيرة من حقيبةِ أدواتهِ التي يحملها، تجرعَ منها ليروي ظمأه، وبمُجرّدِ أنْ تجرعَ الماء واثناء اِنزالهِ للقنّينة من على فمهِ، لمحَ بينَ الأشجار بقعة سوداء، كانَ من المُستحيل رؤيتها أبدًا من أيّ زاويةٍ أُخرى، اقتربَ بهدوءٍ زاحفًا على رُكبتيه، تعالت دّقات قلبه، فقد عَلِمَ ماهيتها.

إنَّها هي فُتحة الكهف، أخرجَ مصباح صغير يُشبه الذي كان يستكشف بهِ غُرفة العطايا، قد أخفتْ الأشجار الفُتحة تمامًا، فكانَ من المُستحيل أنْ يدخلَ منها وهو مُنتصب القامة، فعبر منها زاحفًا بعدَ أنْ ثبّتَ المصباح الصغير على رأسه، ينظر جيّدًا يمينًا ويسارًا خوفًا من الثعابين أو العقارب التى تتخذ من مثل تلك الاماكن أوكارًا ومأوىً لها، وصلَ إلى داخل الكهف، كان كما تركهُ تمامًا وبنفسِ التفاصيل ونفس التمثال الذي يتوسط تجويفه، حتّى تلكَ الشموع التي أشعلتها (إيمونت) بقيت في أماكنها.

أخرجَ قداحة صغيرة من حقيبة المُعدّات، وأشعلَ الشمع حتّى أضاء الغرفة، أخرجَ كتاب الموتى ووضعهُ أمامهُ على الحجر المُعدّ لهذا الغرض أمامَ تمثال الربّة (ورت-حكاو)، وأخرج الهاتف وأعادَ تشغيل المقطع مرّة أُخرى ليتأكد من كُلّ التفاصيل التي ذكرتها لهُ، نظرَ في ساعةِ هاتفهِ المحمول فوجدها تُشير إلى الثانية عصرًا، وكانَ لا بُدَّ وأنْ يبدأ الطقوس ليلًا كما أخبرتهُ (إيمونت).

كانَ مُرهقًا، جسدهُ يئن من التعب، اتخذ رُكنًا قصيًّا مواجهة لفُتحةِ الكهف، وجلسَ أرضًا وهو يستند إلى الجدار، وأغلقَ عَينيهِ وراحَ في سُباتٍ عميق.

مرَّ بعِدّة كوابيس متتالية، كلّها تدور حولَ فلك (إيمونت)، وأنَّها في خطرٍ عظيم، وهو يُحاول اِنقاذها وكُلّ مرّة يفشل، وهكذا دواليك، ومعَ كُلّ مرّة يفقدها ينتفض من نومه، ويعود ويُغمض عَينيهِ مرّةً أُخرى ليدخل في كابوسٍ جديد.

وبعدَ عِدّةِ مرّات، أفاقَ ولم يستطع أنْ يُغمضَ عَينيهِ مرّة أُخرى ، نظر في شاشة هاتفهِ كانتْ الساعة قد شارفت على مُنتصفِ الليل، فأدركَ أنَّهُ قد حانَ الوقت.

نهضَ من مرقدهِ تجرعَ آخر رشفة من قنّينة المياه التي يحملها وألقاها جانبًا، وقامَ بوضع حقيبة مُعدّاته على ظهره، ووقفَ أمامَ التمثال الذي يُمثّل المعبودة (ورت-حكاو) وتنّفسَ بعُمقٍ وفتحَ كتاب الموتى وشرعَ في قراءة التعويذة.

انتهى من المرّة الأُولى ولم يحدُث أيّ اختلاف أو تاثير، تشجعَ وشرعَ في قراءتها مرّة ثانية، وهُنا فقط شعرَ بشيءٍ يزحف على قدمه، كادَ أنْ يجفل ويتراجع، ولكنَّهُ تذكّرَ تحذيرها لهُ بألَّا يجفل أو يخاف، فتابعَ قراءة التعويذة، ودّقات قلبه تزداد وتزداد، انتهى من المرّة الثانية، أخذَ نفسًا عميقًا، وازدردَ لُعابهُ بصعوبة، وشرعَ في قراءتها للمرة الثالثة والأخيرة، وفجأة شعرَ باهتزاز المكان من حولهِ، ودبّتْ رياح خفيفة من حوله، ولكنَّهُ حافظَ على ثباتهِ وهدوء أعصابه، وشعر بجسمٍ يحتك بهِ، جسم لزج وسمع فحيح أفعى بجوار أُذنه، كادَ قلبه أنْ يثبَ من صدرهِ لفرطِ نشاطهِ وانفعالة ولكنَّهُ تمالك نفسه، وزاد من وتيرة اِلقائهِ للكلمات.

وفجأة هبّت رياح عاتية حتّى أنَّ صفيرها كاد أنْ يصمّ أُذنيهِ ولكنَّهُ لم يتوقف، ورفعَ عقيرته بالكلمات أكثر وأكثر، ومع زيادة ارتجاج المكان شعر وكأنَّ الكهف سينهار.

سطع ضوء رهيب كاد أنْ يغشى بصرهُ تمامًا فوضعَ يديهِ أمامَ وجههِ اتقاءًا لذلك الوهج الشديد، حاولَ أنْ يتبيّن مصدر الوهج.

قد تكوّنت فجوة على هيئةِ حلقة دائريّة أمامهُ وخلف تمثال المعبودة التي يقف أمامها، ومن خلال الوهج الشديد لهذهِ الحلقه، ظهر جسد يقف أمامه، حاولَ أنْ يتبيّن التفاصيل، فمنعتهُ الإضاءة؛ إذ كانتْ مُبهرة بحقّ.

أدركَ حقيقة هذا الجسد، وتعالت دّقات قلبه أكثر وأكثر وصرخ:

- إيمونننننت!

أجابتهُ بصوتٍ حنون، كاد أنْ يرقص قلبه طربا لسماعه:

- أنا هُنا يا مهجة القلب.. أنا هُنا يا (إيا-رع).

تحرّكَ بسرعة تجاه دائرة الضوء، وفتحَ ذراعيهِ وفجأة تعالى صوت جهوري صارخًا:

- أيّتُها اللعينة!

صوت الإله (آمون) وقد ظهرَ من خلال الحلقة المتوهجة، وهو يقترب حتّى حالَ بينَ (إيمونت) وبينَ الحلقة، وكأنَّهُ يمنعها من العبور، كاد (بدر) أنْ يموتَ قهرًا ممّا يرى.

وفجأة شاهدَ (إيمونت) تُخرج قلادة من طيّاتِ ملابسها على هيئةِ قرص الشَّمس، ووضعتها أمامَ وجهِ الإله (آمون) وصرختْ قائلة:

- أيُّها الإله (آتون) يا ربّ الأرباب وخالق الأكوان، أيُّها الواحد الأوحد، يا مَن خلق قرص الشَّمس وأرسلَ أشَّعتها إلى الأرض، استجير بك من شرِّ الأشرار.

أرسِل نورك يُنير طريقي ودربي ويحرق أعدائي، ويجعلني من أتباعك المُخلصين.

أنهتْ كلماتها وتوهج القرص بيديها وكأنَّهُ شَّمس صغيرة أطلقت أشَّعتها تجاه (آمون) الواقف أمامها!

صرخَ (آمون) وهو يرفع يدهِ اليُمنى تجاهها:

- أيّتُها اللعينة، أنا مَن صنعكِ، أنا ربّكِ وإلهكِ، ولن أذهب قبلَ أنْ أقضي عليكِ بيدي.

في هذهِ الأثناء قد شعرَ (بدر) بالهلع والخوف عليها، فقفزَ عابرًا للحلقة المُضيئة وبكُلّ ما أوتيَ من قوّةٍ دفعَ الإله (آمون) تجاه القرص المتوهج وهو يصرخ:

- اذهب إلى الجحيم؛ حيثُ مكانك أيُّها اللعين، وحدثَ انفجار رهيب، انفجار أطاحَ بكُلّ شيءٍ وتوهجت الحلقة للمرّة الأخيرة واختفت، ومن خلفها مدخل الكهف.

وقفَ (راتب) والدمع يملأ مُقلتيه، وتهدّجَ صوته قائلًا:

- وداعًا يا رفيق العمر.. وداعًا يا (بدر).

الفصل الحادي والثلاثون

سطعتْ أضواء أدوات التصوير، وكأنَّها الآف الشموس الصغيرة في وجهِ ذلكَ الرجل الوقور، الذي تقدّمَ من المِنبرِ الصغير على المسرحِ المُخصص للأحاديث الإعلاميّة الهامّة، ونقرَ بيدهِ مرّتينِ على المذياع الموضوع أمامهُ ليتاكد أنَّهُ يعمل جيّدًا وقالَ مُبتسمًا:

- أهلًا بكم في أهمِّ اللحظات التاريخيّة في عصرنا الحديث، نَحنُ الآن بصدد الإعلان عن أهمّ وأعظم الاكتشافات الأثريّة في القرنِ الحادي والعشرين، بل يُمكنُني القول بكُلّ ثِقة أعظم الاكتشافات الاثريّة على مرّ التاريخ.

وصمتَ قليلًا ليتأكد أنَّهُ قد حاز على انتباه الحاضرين كافّة وتابعَ بهدوء:

- دائمًا ما كُنّا في حيرةٍ من أمرنا، في لحظةٍ تاريخيّة فاصلة في حياة بلدنا مصر وهي عصر الاضمحلال الأوّل، وكيفَ نجحت مصر بقيادة أبنائها الشُرفاء أنْ تستعيد مجدها وتعود إلى سابقِ مجدها العظيم.

وردت إلينا قصص كثيرة عن طريق اكتشافات كثيرة، ولكنْ لم نتحقق من صّحة أيّ من هذهِ القصص أو حقيقتها.

وطوال فترات الاكتشافات الحديثة، ترددَ كثيرًا أمامنا اسمينِ يُحاط بهما الكثير من الغموض، ولم ينجح أحد من قبل في كشف حقيقة هذينِ الاسمين.

الاسم الأوّل هو (إيمونت) وهي تاريخيًّا كبيرة كهنة معبد الإله (آمون)، الذي نجحت بعثة تابعة لهيئة الآثار بقيادة الدكتور (وهدان) مُنذُ عشرةِ أعوام تقريبًا في اكتشافه، وكانَ لِيَ الشرف وقتها إذ كُنتُ أحد أعضاء تلك البعثة.

صمتَ قليلًا وظهرَ التأثُر على ملامحهِ وتابع:

- والاسم الاخر هو (إيا-رع) أو حامل الضياء، وهو شخصيّة غامضة، وكُلّ المعلوم عنهُ أنَّهُ مُرسَل من قِبلِ الإله (آمون) لينقذ مصر من المجاعات التي حلَتْ، بها وبالفعلِ نجحَ عن طريق أعمال إعجازيّة في أنْ جعل الأرض تُخرج خيراتها.

وللأسف هذا كُلّ ما نعلمهُ عنهما حتّى قبلَ أسبوعٍ مضى.

صمتَ تمامًا وخلال صمته هذا، سطعت المئات من أدوات التصوير مرّة أُخرى لتخلد ذكرى هذا الحديث وما يقوله.

لقد نجحنا في اكتشاف مقبرة أثريّة عن طريق فريق بحثي تحت إشرافي الشخصي، وهي لزوج وزوجة، الزوج هو (بد-رآتون) والزوجة (إيم-آتون)، وهُما في الواقع (إيا-رع) وزوجهِ (إيمونت) بعدَ أنْ توقفا عن عبادة الإله (آمون) وعبدا الإله (آتون).

تعالت الشهقات والتصفيق ملأ القاعة، وهبطَ الرجل الوقور من المنّصة وتحرّكَ الى سيّارةٍ خاصّة في انتظاره، وأشارَ إلى قائدها أنْ يتجهَ إلى المُتحفِ الكبير، وهبط من السيّارة وكُلّ الحاضرين يُشيرونَ

إليهِ في انبهار، وهو يُلقي إليهم التحيّة، وكأنَّهُ أحد نجوم شاشات السينما.

دخل إلى غُرفةٍ خاصّة بالقطع الغير معروضة، وتقدّمَ من تابوتٍ كبير الحجم وبجوارهِ تابوت آخر أصغر منهُ، توقفَ أمامَ التابوت الكبير، وأخرجَ من جيبِ سُترتهِ خاتمًا ذهبيًّا يُمثّل عَين حورس الحارسة، ووضعهُ بإصبعهِ الأوسط، ووضعَ يدهُ على التابوت، وسقطتْ عبرة من عَينيهِ تبعها شلّال من الدمعِ المُنهمر، واقتربَ من التابوت وهمس:

- لقد التقينا مرّة أُخرى يا صديقي.. أشتاقُ إليكَ يا (بدر).

سمعَ طُرقات على بابِ الغرفة، فمسحَ دمعهُ سريعًا وخلع الخاتم من يدهِ ووضعهُ فى جيبِ سُترتهِ مرّة أُخرى، وهتف بالطارق أنْ يدخل.

فُتحَ الباب وإذ بهِ يرى كهل عجوز متكئ على عصا، دخلَ إلى الغرفة وهو يبتسم ابتسامة صفراء، وأغلقَ الباب خلفه، وتقدّمَ منهُ مُصافحًا وقال:

- هل أنتَ دكتور (راتب)؟

هزّ (راتب) رأسه في إيجابٍ وقال:

- مَن أنتَ؟ وماذا تُريد؟

وكيف دخلتَ إلى هذهِ الغُرفة؟ ومَن سمحَ لك؟

ازدادت ابتسامة الكهل وقالَ وهو يتأبط ذراعه ويخرج معهُ إلى خارج الغُرفة وكأنَّهُ صديق حميم:

- أنا أُدعى (شهاب).. عمّك (شهاب عامر)!

أنا هُنا من أجلكَ أنتَ ومن أجل مُساعدتك، لأنَّني بصدد اِخبارك عن كشف أثري كبير، لم يسبق في التاريخ أنْ تمَّ اكتشاف مثيله،

اتسعتْ عينا (راتب) في دهشةٍ وقال:

- أيّ اكتشافٍ أثري كبير هذا؟

اقتربَ الكهل من أُذنهِ وقالَ هامسًا:

- كتاب الموتى!

ارتسمتْ الدهشة على وجهِ (راتب) وأصابهُ الذهول، كان قد نسيَ أمر الكتاب تمامًا، ولم يعثر عليهِ بعد الانفجار واختفاء (بدر)، بل لم يُحاول أنْ يعثر عليهِ من الأساس.

نظرَ تجاه الكهل وجدهُ يبتسم ابتسامة مقيتة ويقول:

- ألم أُخبركَ أنّي هُنا من أجلك؟

قالها وتحوّلتْ ابتسامته إلى ضحكة مُجلجلة ترددَ صداها طويلًا!!!

تمّتْ بحمدِ اللَّه.

المحتويات

تقديم ٥
الفصل الأوّل ١٣
الفصل الثاني ٢١
الفصل الثالث ٣١
الفصل الرابع ٣٧
الفصل الخامس ٤٣
الفصل السادس ٥١
الفصل السابع ٥٧
الفصل الثامن ٦٥
الفصل التاسع ٧١
الفصل العاشر ٧٧
الفصل الحادي عشر ٨٧

الفصل الثاني عشر ٩٥
الفصل الثالث عشر ١٠١
الفصل الرابع عشر ١٠٧
الفصل الخامس عشر ١١٣
الفصل السادس عشر ١٢١
الفصل السابع عشر ١٢٩
الفصل الثامن عشر ١٣٥
الفصل التاسع عشر ١٤١
الفصل العشرون ١٤٧
الفصل الحادي والعشرون ١٥٣
الفصل الثاني والعشرون ١٦١
الفصل الثالث والعشرون ١٦٩
الفصل الرابع والعشرون ١٧٥
الفصل الخامس والعشرون ١٨٣
الفصل السادس والعشرون ١٨٩
الفصل السابع والعشرون ١٩٧

الفصل الثامن والعشرون ٢٠٣
الفصل التاسع والعشرون ٢١١
الفصل الثلاثون ٢١٧
الفصل الحادي والثلاثون ٢٢٣

شارك رأيك